مفتاح الشمال

سجى محمد

أسطورة النار والماء

تدور عجلة الزمان لتربط الماضي، الحاضر و المستقبل بخيط رقيق يسمى **المصير**، و لكن عندما تتوقف، و تجتمع جميع الأزمنة على خط واحد، و يكرر التاريخ نفسه و يكشف عن أخطاء الماضي و مآسي التاريخ، ستحل حينها لعنة أيور لتعيد القمر الأزرق للحياة، و تنتقم من احفاد الشياطين لأجل روح الساحرة البريئة .
كان هذا الوعد كالاسطورة في إمبراطورية أكال، فقد تناقلته من جيل إلى جيل حتى تم نسيان قائلِه أو سبب قوله .

بدأ كل شيء **قبل خمسمائة سنة** عندما كانت الإمبراطورية لاتزال مجرد مملكة صغيرة، عندما ارتفع صراخ الشعب من خلف جدران القصر مطالبين برأس الساحرة ...

في زنزانة قذرة لا ترضى بها حتى الفئران و على الأرضية الباردة كالجليد، جلست امرأة فائقة الجمال بشعر أحمر طويل و غزير ينهدل على كتفيها و كأنه النار التي جعلت من تلك الغرفة المظلمة نابضة بالحياة .

نظرت أيور عبر النافذة الوحيدة الموجودة في الغرفة نحو القمر المكتمل والذي اشتد ضياؤه في تلك الليلة، ثم نظرت إلى يديها المقيدة بالأغلال، فانهمرت دموع كالشلال تجعل كل من يراها يشفق عليها، و لكن لسوء حظها كانت في زمن بلا شفقة لذلك جمعت شتات نفسها، و نادت :
"يا رب ... اخوتي بريئون و المشاعر ظالمة ... يا رب اجعل القمر ينير ليريهم طريق الحق ."

في تلك الاثناء سمعت صوت خطوات أحدهم فازدادت دقات قلبها، و ارتعشت خوفا و رهبة، و أخذت تدعو الله أن لا يكون ذلك الشخص .

فُتح الباب، و دخل رجل وسيم،قوي البنية، عريض الكتفين، هادئ بالكاد تسمع صوته، فنظر اليها بنظارات

لا تعلم ما تخفيه خلفها و مع تعبير وجه لم تره أيور من قبل بالرغم من السنوات الطويلة التي قضوها معا .
حاولت ايور تجنبه و لكنه فاجأها بسؤال لطالما ارادت سماعه .

-كيف حالك؟

-اغليد، أتسألني عن حالي بعدما رميتني في هذا المكان؟

-هل تكرهينني يا أيور؟

-انا أمقتك .

-و لكنك كنت تدعين لأجل أولائك الشياطين الذين يطالبون برأسك بعدما أنقذت حياتهم لمرات لا تعد ولا تحصى .

-الأمر مختلف....هم لا يعنون لي شيئا أما أنت فقد وثقت بك ...آمنت بك وبحلمك في تأسيس المملكة ولكنك خنتني...انا اكرهك يا اغليد لو يعود الزمان فلن احبك ابدا .

تنهد اغليد و همّ بالمغادرة و لكنه توقف وقال :

-"لا تلوميني ...ولومي نفسك التي ظنت أننا متساوين لن يتشابه البشر العاديون امثالي و الساحرات.

أمثالك...كنتِ تقولين اننا متساوون .أنا آسف و لكن القوة والمال لن يسمح لنا أن نكون متساوين حتى لو تصافحنا، سنطعن بعضنا البعض عند أول فرصة...تماما كما فعلتُ معكِ...لذلك **عيشي و تعالي للانتقام**...اذا كنتِ تكرهيني فعلًا فكوني مستعدة لطعني ."

انفجرت أيور باكية فور مغادرته و لكنها لم تدرك أنه كان متكئا خلف الباب و قلبه ينقطع لأشلاء مع كل دمعة تنهمر على خدودها الوردية .

في الماضي كان بجانبها يمسح تلك الدموع و الآن هو العدو الذي تسبب في بكائها .
القدر الذي جمعهم علي ابتسامة فرقهم الآن علي دمعة و كأن حبهم لم يكن...كانا صديقين، عائلة، أحباء ، زوجان .
كلاهما أحبا بعضهم البعض و لكنه كان حب لم يتحقق.

اغليد الذي انهار بسبب حزن حبيبته، انهمرت الدموع من عينيه لأول مرة كشلال غير قادر على كبحها و خلفه أيور التي اشتعلت غضبا من خيانة زوجها و كأن نيران

انتقامها ستحرق كل من حولها و ترفع الستار عن الظلم الذي تعرضت له .

لم يستطع اغليد اخبار أيور بمشاعره الحقيقية وكأن الذي يفصل بينهما ليس مجرد باب و إنما جدران ضخمة بناها كلاهما .
لم يعلم متى بُنيت تلك الجدران ربما عندما خانها و ربما كانت موجودة منذ البداية بسبب القوة السحرية و المكانة الاجتماعية اللذان باعدا بينهما و لكن مع ذلك تمكن من إدراك شيء واحد، أن علاقتهما كالنار والماء لا يمكن أن يجتمعا و لن يعيش أحدهما إلا بتدمير الآخر .

بعد عدة أيام، ظهر **القمر الأزرق** و لم يبق شيء من المملكة إلا الدماء و الدمار ... تلك الأبنية التي افتخر بها النبلاء تحولت لتراب، الأراضي الخصبة صارت بُحورا من الدماء، و الأنهار و الآبار جفت ولم يبق منها قطرة واحدة .

لا أحد يعلم كيف أو لماذا دمرت تلك المملكة، لذلك انتشرت الإشاعات عن تلك الحادثة، فمنهم من قال إنها

لعنة أيور الساحرة البريئة و منهم من قال إنها عقاب لسكان تلك الأرض بسبب أفعالهم الشنيعة و لكن لم يتوقف الدمار بعد تدمير تلك المملكة بل استمر ليغطي كل القارات و الممالك .

لإنقاذ ما تبقى من البشرية اجتمع السحرة لختم تلك الكارثة و أخفوها في اللامكان ثم جمعوا ما تبقى من الإنسانية التي كانت شبه مفقودة في ذلك الزمان و جسدوها على شكل أربعة مفاتيح و عهدوا بها لأربعة أبطال سُميوا بالأماريس و ذلك لحماية البشرية و ليحافظوا على توازن العالم و إبقاء الكارثة مختومة .

مفتاح الشمال

النظارة و الوضاءة و الملاحة في الغبراء، و الجمال و البهاء و الرواء في العمران... هذه منبت الأحرار و منبع الأوفياء، أرض الكرام و مسكن الشجعان...إنها أكال الإمبراطورية التي حكمت القارة لقرون و أنجبت أبطالا على مر تاريخها منهم الأماريس الذين عُهد لهم

بحماية القارة و منع تكرار المجزرة التي حدثت قبل خمسمائة سنة .
و لكن على الرغم من قوتهم التي مُنحتهم لهم عندما اختارتهم المفاتيح إلا أن هذا لا يُغير طبيعة كونهم بشرا فانين فالحياة لا تدوم و الموت لا يمكن إيقافه هذه هي الحقيقة المُرة التي اكتشفتها ياسمين في عمر السادسة عشر عندما فقدت جدها شادي .

لم يكن شادي رجلا مستقيما و لا زوجا وفيًا و لا حتى أبا صالحا . كل همه كان المال، و بسبب شخصيته القذرة نفرته عائلته، و تخلى عنه أبناؤه، و لكن في اللحظة التي مدّ فيها الموت جناحه و قُبِضت فيها روحه، رحل العزيز دون رجعة تارك عائلته بلا عودة أو لقاء، مخلفا الذكريات المؤلمة .

مات شادي وحيدا ولم يعلم أحد بموته إلا بعد مدة طويلة . تلك العائلة التي تخلت عنه اعتراها الندم... تلك القلوب التي كانت كالحجارة تبكي الآن على موت الحبيب... تلك العقول التي نسته في يوم ما ها هي الآن تحاول تذكر كل صغيرة أو كبيرة متعلقة به .

في كل ثانية تمر، تدق قلوبهم ألما، و ترتجف أجسادهم حسرة على أفعالهم، فكم تمنوا لو يعود بهم الزمان ليقولوا له إنهم آسفون، و كم دعوا الله ليمنحهم دقيقة واحدة ليقضوها معه، و لكن ما فائدة ذلك بعد فوات الأوان، فالراحل لا يثوب والماضي لا يعود .

تلك المشاعر التي لا تُحْتمَل لم تستطع العائلة تقَبُلها و بدلا من تحمل مسؤولية أفعالهم، لاموا بعضهم البعض، فنشب الخلاف، و تفككت العائلة، و لم تترك شتيمة واحدة إلا نَعت بها الأخ أخاه .

غرقت العائلة في اليأس مما أثر سلبا على تلك الروح البريئة ذو القلب النقي كالثلج الذي لا يشوبه شائبة و التي كانت تشاهدهم من بعيد دون القدرة على فعل شيئ ...ياسمين التي كانت نفسا جميلة في جسد جميل، و التي وهبها رب العالمين البهاء و الرواء، فلم تقع العين على شبيه لها، و لم تروي القصص و الأساطير عن مثيل لها، لم تفهم ما يحدث حولها أو سبب تصرفاتهم . بقيت تشاهد

تفكك عائلتها أمام ناظريْها مما جعلها تعيش كابوسا مريرا لم تستطع تحمله .

كانت تضحك رغم حزنها، تبتسم رغم أساها، تُزهزق رغم نحبها و لا يعلم انكسار روحها أو ما في قلبها إلا خالقها .
في اللحظة التي لم تعد فيها قادرة على كبح مشاعرها، تسللت من المنزل لعلها تنسى أحزانها، و تستعيد قوتها لتحبس تلك الدموع التي قد تفيض في أي وقت، حفاظا على كرامتها .

تجولت ياسمين في الغابة التي بدت كالفردوس، فنظرت إلى الأشجار المثقلة بثمارها، المترامية أطرافها، الوارفة ظلالها فشعرت بالطمأنينة و الهدوء و حسدت الأشجار علي صمودها أمام عاتي الريح رغم ثقل الثمار، و لامت نفسها التي تزعزعت بسبب بعض المشاكل، ثم تقدمت قليلا، فانبهرت بالأزهار الصغيرة التي لا تزال ملتصقة بأديم الأرض تجاهد لتنمو حتى ترى نور الشمس تماما كالأشجار الشاهقة .

كرهت ياسمين ضعفها، فآلامها لا تُعدّ شيئا أمام الظروف التي مرت بها تلك الأزهار .
انهمرت الدموع من عينيها، و جثت على ركبتيها، و استسلمت لليأس و الحزن، و بينما هي على تلك الحال إذ بيد دافئة تُرَبط على رأسها .
توقفت عن البكاء، ثم رفعت رأسها فإذا بأشعة الشمس تتسلل بين تلك الخيوط الذهبية، فتزيد شعره بريقا و جمالا، و نظرت لعينيه الزرقاء، فرأت فيهما النقاء و الحنان .

تلك الأيدي الحنونة و ذلك الوجه الملائكي لا يمكن أن يكون إلا مِلكا لصديق طفولتها أسامة. ابتسمت بإشراق سعيدة بوجوده بقربها، ثم انفجرت باكية بين أحضانه .

نظر لها أسامة بحزن، و قال :
-كم مرة طلبتُ منكِ أن لا تتحملي كل شيء بمفردك؟
-لا أحد سيهتم على أي حال .
- ...انا أهتم.

احمرت ياسمين خجلا، و اتكأت على ذراعيها فهي غير قادرة على النظر في عينيه، ثم سألته :

-لماذا يفعلون ذلك؟لماذا يلومون بعضهم البعض؟...لقد كان خطأ الجميع منذ البداية ... لم أعد أراهم كبشر .

-ياسمين...أنتِ لا تفهمينهم، و لن تفهميهم لأنك أطيب من أن تدركي قسوتهم .

- هل لي انني ساحرة؟

- ياسمين... ألم أخبرك أن تُبقي هذا سرا؟ أتعلمين كم شخصا سيطمع فى قوتك؟

-لا أحد غيرك يعرف هذا على أي حال .

احمر وجه أسامة، ثم ابتسم، و قال :

-شكرا لك لأنك تركتيه سرا بيننا .

ثم تغيرت ملامح وجهه فجأة، و طغى الحزن على تعابيره، و أضاف :

-ياسمين... لا يوجد معيار واضح للصواب و الخطأ... هذا يعني أن المعيار يتم تحديده بالقوة، و لكن تلك القوة التي في يد غير الأكفاء لن تجلب إلا الخراب ... الرغبة الأنانية في الحصول على ما لا نستحقه تؤول للحرب، و

الحقد ينتشر إثر جشعنا في الحصول على المزيد...أنا سأحميك لذلك أرجوك ابقي آمنة .
ـ أعرف هذا ...حيثما كان الخير لابد من شر في الدنيا لهذا السبب بالذات لا أريد أن اختبئ...إن كنتُ لا أناسب المعايير التي وضعها المجتمع، إذا سأصنع معايير خاصة بي .

تفاجأ أسامة بردة فعلها و همس بأن لهذا السبب وقع في حبها .
كانت تلك المحادثة القصيرة كالسحر بدّدت كل الأحزان، و لم تترك له أثرا واحدا .

بعد أيام قليلة، اتجه أسامة و ياسمين إلي منزل جدها على ظهر الخيل، الذي كان قوي البنية ممشوق الجسم، ذو منظر مهيب يخافه العدو و الحليف، و الذي كان يركض بسرعة البرق الخاطف، فيطوي الأرض طيا، و يقفز عاليا، فيظن الناظر أنه يطير .

أحبت ياسمين شعور ركوب الفرس أو بالأحرى أحبت الحرية التي شعرت بها و كأن كل القيود التي كانت

تكبلها قد تحطمت . ذلك النسيم الذي يداعب وجهها و تلك السرعة الجنونية التي كان يركض بها الفرس جعلها تشعر و كأنها تحلق في السماء متحدية الجاذبية، متحدية آلامها وأحزانها.

كان أسامة يناظرها من بعيد سعيدا بسعادتها خائفا من تعرضها لحادث لذلك اقترب منها و لم يبرح جانبها لكي يتمكن من إمساكها إذا وقع لها مكروه.
نظرت ياسمين إليه مع ابتسامة مشرقة، و شكرته قائلة :
ـ كنت غاضبة من إصرار عائلتي على الاحتفاظ بجميع ممتلكاتي جدي، و لكنني الآن قادرة على الذهاب لمنزله، و التبرع بأغراضه...شكرا لك أسامة بفضل اقتراحك للذهاب إلى هناك و مرافقتك لي، صرتُ أمتلك الشجاعة الكافية لفعل ما لم تستطع عائلتي فعله...أنا حقا مدينة لك بالكثير .
ـ أرجوك لا تشكريني .
ـ ما خطب ردة فعلك؟...أنت حقا غريب أحيانا تتقبل شكري و أحيانا ترفضه و كأنك لا تستحقه .
ـ لأنني فعلا لا أستحقه .
ـ ماذا ؟

تجنب أسامة الإجابة عن سؤالها، و اكتفى بابتسامة تخفي خلفها الكثير من الآلام و الأحزان . تنهدت ياسمين، و قالت غاضبة :

- أنت حقا تغضبني...لماذا تعتقد دائما أنك لم تقدم لي أية خدمة خاصة، و أن كل ما تفعله من واجبك؟...آه... أنسى الأمر سأمررها لهذه المرة فقط .

- شكرا لك على لطفك .

- توقف عن ممازحتي لقد كنت حقا غاضبة... على أي حال كيف حصلت على هذه الخيول ؟

- صديق أعارني إياها .

- صديق؟ يا له من غني .

قهقه أسامة، و استمرا في تبادل أطراف الحديث إلى أن حصل ما لم يكن في الحسبان و ما لم يتوقعه إنسان ...

امتدّ ظل أحمر قاتم فغطى الهضاب و السهول، و انبث ضوء ساطع شتت رؤيتهم و انتشر الضباب في كل مكان، ثم ظهر فجأة طائر ضخم لم يريا أجمل منه، ذو ريش ماسي أحمر كالدم و عنق طويل شديد البياض

مطوق بصفرة، وفي بطنه و رجليه جروح عميقة تكشف كل ما مر به من عذاب .

فتح الطائر جناحيه، فحجب أشعة الشمس، و ألقى بصخرة عملاقة كان يمسكها بمخالبه، فزلزلت الأرض، وشقها نصفين مما أخاف الخيل الذي كاد يتسبب في سقوط ياسمين لو لا مساعدة أسامة .
ارتعش جسد ياسمين خوف و رهبة من قوة و ضخامة الطائر و لم تستطع الحراك أو نطق كلمة واحدة فلا جسدها قادر على حملها و لا الكلمات كافية للتعبير عن هول ما تراه .

حملها أسامة بين ذراعيه لعلها تهدأ و يقل خوفها، ثم حمل السيف بيده الأخرى، و لكن ياسمين أوقفته فهي تعلم أنه ليس ند له، و احتضنته بقوة و كأنها اللحظات الوحيدة التي ستجمعهما معا ثم سألته عن هذا الطائر، فأجابها :
- ظاهريا يبد كالعنقاء و لكن لا يوجد عنقاء بهذا الحجم على الأرجح أنه الأسيوان.
-الأسيوان؟

-إنه هجين بين طائر الرخ و العنقاء و لكن لم أتوقع رؤيته في الإمبراطورية .
- لماذا؟
- يوجد أسطورة، أنه عند قتل الأسيوان ستتدفق دماءه لترشد قاتله نحو كنز قديم لذلك استمر أجدادنا في قتله طمعا في الذهب . على الأرجح أنه الناجي الوحيد، و ان تلك الجروح بسبب محاولات القتل التي تعرض لها .
- لا يهم أن كانت الأسطورة صحيحة أم لا . أفعالهم لا تغتفر .
- أعترفُ بذلك، ولكننا لسنا أفضل منهم حالا، فنحن مضطرين لقتله إن أردنا النجاة .
-أرجوك لا تفعل يكفي ما عناه من أولئك القساة .

حاول أسامة إقناعها، و لكنه في النهاية استسلم لعنادها، وحاول إيجاد طريقة أخرى للنجاة، و لكن هذا لم يكن ضروريا لأن الطائر توقف عن مهاجمتهم، و حط بقربهم، فاهتزت الأشجار، و انشقت الأرض في اللحظة التي وضع فيها قدمه عليها .

أخفى أسامة ياسمين خلفه خوفا عليها من الأذى، و أمسك سيفه، و صوبه نحو الأسيوان الذي نطق قائلا: "- لا فائدة من إخفاءها أن أردتُ قتلها لفعلت ذلك من البداية ."
تفاجأ أسامة من قدرته على الكلام فلا القصص و لا الأساطير ذكرت ذلك ربما لأنهم لم يهتموا إلا بدمائه و بالكنز .

التفت الأسيوان نحو ياسمين، وأضاف :
- هذا الطفل ليس عاديا لو لم توقفيه لكنتُ الآن ميتا...
لماذا فعلت ذلك؟
- لأنك كنت خائفا منا بسبب ما فعله أجدادنا .
- أتقولين إنك كنت ستضحين بحياتك لتُكَفر عن أفعالهم الشنيعة؟
- لا...هم من أخطأوا، فلماذا يجب أن أتحمل مسؤولية أفعالهم؟
- إذا لماذا؟
- لا يهم أن كنت إنسانا أو طائرا أو حتى وحشا، فالحياة حياة مهما كان عرق أو فصيلة صاحبها .
- هذا مزعج... لا أعرف كيف يمكن لبشري أن يكون بهذا الصدق لو أنك كذبت في حرف واحد لأحرَقَتك

نيراني... عموما مبارك أنت هي الوحيدة منذ خمسمائة سنة التي حصلت على اعترافي .

-اعترافك ؟

-لا تفرحي كثيرا... **لن يتركك التاريخ وشأنك... إن لم تسيطري على مشاعرك فلن تجدي غير الموت لك و للجميع...** ابذلي جهدك للعيش يا 'حارسة مفتاح الشمال'

.

حلق الأسيوان عاليا في السماء، وعاد نور الشمس، و انجلى الضباب، فوجدوا أنفسهم أمام منزل جدها . لم تستطع ياسمين أن تسأل الطائر عن كيفية وصولهما لهناك لأنه اختفى و لم يترك خلفه إلا مفتاحا غريب استشعرت منه قوة سحرية كبيرة .

لا يهم كم مرة تُلقيه أو إلى أين ترميه فهو يعود دائما حول رقبتها و كأنهما صار شخصا واحدا .

لم ينطق أسامة بكلمة واحدة لدقائق و لكن كرهه لوجود ذلك المفتاح حول رقبتها كان واضحا وضوح الشمس .

من ناحية أخرى لم تستسلم ياسمين عن محاولة التخلص من المفتاح إلى أن أوقفها أسامة قائلا :
- لا جدوى من ذلك ياسمين... قد تكون مجرد فرضية و لكن أظنك صرت من الأماريس .
- الأماريس ؟ أتقصد أولئك الحراس؟... هل هذا المفتاح مرتبط بكوني واحدة منهم؟
- لست متأكدا من ذلك ولكن ذكر ذلك الأسيوان شيئا عن مفتاح الشمال على الأرجح أنه أحد المفاتيح الأربعة .
- هذا ...
- لا تقلق و لا تخافي سأحميك ... ألم أعدك بذلك؟

ابتسمت ياسمين، ثم سألته عن فائدة هذا المفتاح، فأجابها قائلا :
- مفتاح الشمال يمنح صاحبها القدرة على تجسيد المشاعر على شكل مخلوقات عجيبة تمنح كل واحدة منها لصاحبها قدرة خاصة .
- أتقصد أنني قادرة على مساعدة عائلتي ... لا ربما أكون قادرة على مساعدة العالم بأسره ... هذا حقا رائع .

تبدد الحزن الذي كان يحيط بأسامة، و تهللت أساريره، و اهتز قلبه طربا، و انشرح صدره فرحة و سرورا من إجابتها حتى كادت الدنيا لا تتسع له من فرط السعادة .

جلس كليهما تحت شجرة ليرتاح جسداهما من مشقة السفر و لتهدأ نفساهما من الرعب الذي عاشوه .
كانت الشجرة ذات جمال ملفت، عالية، مرتفعة عن الأرض تكاد تلمس السحاب، كثيفة الفروع، تلفت نظر كل من يمر بقربها بأوراقها الزاهية المتدلية من جميع الجهات وهي تحمل من الثمرات الكثير .

داعبت النسمات العذبة خيالهما و صافحت ذكرياتهما، و أسعدت يومهما، فقد اعتادا في الماضي على الجلوس تحتها، و اللعب حولها .

تذكرا طفولتهما، و تبادلا أطراف الحديث، ثم قررا دخول المنزل، و البحث عن دليل يساعدهما لأن أسامة كان متأكدا أنه طالما أوصلهما الأسيوان لهذا المكان فهذا يعني أنه لابد من وجود دليل أو شيء قيم .

دخلا البيت الذي كان مهجور إلى الحد الذي نمت في أعماقه شتى أنواع الأعشاب الطفيلية التي تنمو دون رعاية و في أحلك الظروف، كانت الأرضية متشققة بعدما تآكلت الألواح الخشبية التي صُنعت منها . بدت الجدران وكأنها ستتدمر من بعض النسيم أما الباب الخارجي فكان نصفه يتكئ على الآخر .

اشتد سواد الحزن في قلب ياسمين و اغرورقت عيناها بالدموع و شكت حزنها الذي لا صبر لها عليه إلى الله فما الفائدة من جمع المال إن كان سيعيش في منزل كهذا ؟ و ما الهدف من إهمال عائلته و انشغاله بالمال إن لم يستفد منه ؟

لم يحتج أسامة لسؤالها ليعلم ما تفكر به فعيناها وحدها تكشف عن آلاف المشاعر المكبوتة في قلبها، واكتفى باحتضانها قائلا:
"-بعض الناس لا يهمهم الثمن، فجشعهم يقودهم بدل عقولهم ... لن يكتفوا بالقليل، و لن يحمدوا الله على ما لديهم ... لا يهم ما سيحصلون عليه سيرغبون في المزيد، و في النهاية ستكون هذه النتيجة ."

كانت كلمات أسامة قاسية و لكنها كانت أيضا الحقيقة لذلك لم تستطع ياسمين الاعتراض، و جمعت شتات نفسها، و واصلت البحث إلى أن عثرت على شيء تمنت لو لم تره .

بين الغبار الذي غطى الأرضية بطبقة رمادية و بين الأوساخ المتناثرة في كل ركن من أركان الغرفة، عثرت ياسمين على رسالة مرسلة الي جدها من شخص يدعى غيلاس مكتوبة بحبر غريب ومشبوه ... كان مظلمًا و غير مفهوم، و كان الخط أحيانًا عريضًا و أحيانًا رقيقًا و كأن كاتب الرسالة كان في عجلة من أمره لكن الصدمة كانت في محتواها:

"لقد ارتكبنا خطأ فادحا ... لم يكن عليه أن يموت ... هو لم يكن العدو .
لم يبق سوى نحن الثلاثة فقط ... هذا يعني أنه واحد منا .
سأكتب هذه الرسالة بدمي حتى لا يراها إلا حارس مفتاح الشمال .

إذا كنت سأموت على أي حال، فسوف أموت بالتأكيد بعد أن أعطي الصندوق للشخص المختار، شادي قد يكون موتك بعدي لذلك انتبه ... إنه يستهدفك أيضا .
أشعر بالقلق بشأن الأماريس المستقبليين لأنهم مجرد أطفال .
لا أستطيع أن أصدق أننا سنأخذ طفولتهم و حريتهم من خلال منحهم هذه المسؤولية .
كيف سيعيش هؤلاء الأطفال حياة طبيعية و هم مطاردون ؟
إسمعني يا شادي لأننا قد لا نلتقي مرة أخرى .
ماذا لو لم يكن مفتاح الشمال هو الأضعف بين المفاتيح الأربعة؟
ماذا لو كانت هناك قوى خفية أخرى لم تدركها؟
كل شيء ممكن لذلك ربما هناك أمل لأنه لم يكن هناك خائن واحد من حراس مفتاح الشمال طوال الخمسمائة سنة ...
وقع أحد الصناديق في اليد الخطأ و هو الآن يبحث عن الصناديق الثلاثة الأخرى ...

مهما حدث فإن هوية الأماريس الجدد يجب أن تظل سرية، خاصة بعد أن أبدت المفاتيح ردة فعل غريبة لم نشهدها من قبل تجاههم .
و ربما يكشف الجيل الجديد أسرار تلك القرون المنسية و التي لم نتمك من الوصول لها ... لكن العواقب ستكون وخيمة .
كلما زادت القوة، زاد الضرر معها .
خاصة و أن تنبؤ ماليس لا يخطئ أبدا ...
سيكون هناك في كل جيل خائن من بين الأماريس ...
يجب كسر هذه اللعنة .
يجب إنقاذ الجيل القادم .
حلمنا سيتحقق ... و حتى لو فشلنا في تحقيقه، فإن إرادتنا و قوتنا سوف يرثها الأماريس الذين سيأتون بعدنا ...لن تُباد إرادتنا ولا ارادة من سبقونا ...حتى لو قُطعت رؤوسنا أو أكلت الحشرات جثتنا، لن نموت
....هذا ما قرره التاريخ ."

كان اللون الذي كُتبت به الرسالة غريبا لأنه لم يكن حبرا بل دما، و الخط السيئ بسبب أن المرسل على شفى الموت .

رجّتْ الصدمة كُـــلَّ كـــيانها، و جثت على ركبتيها، و أطبقتُ عينـــيّها لتستردَّ أنفاسها، فانحدرت دمعة على وجهها حملت معها آلاف المعاني، و أمسكت الرسالة بيدين مرتعشتين، فهي غير قادرة على تصديق ما قرأته فكل ما تعرفه كان كذبا .... حقيقة كون جدها أحد الأماريس و موته مقتولا، الخطر الذي يحدق بها ، ذلك العدو الذي لا تعرف هويته، و ذاك المصير المجهول الذي ينتظرها .
كل تلك الحقائق نزلت عليها نزول الصاعقة، فاقشعر بدنها، و اصفر وجهها، و كادت تفقد صوابها، و خانتها الكلمات، فلم تستطع قول شيء غير تكرار كلمة جدي مرات عديدة مع دموع خفيفة على الوجنتين ثقيلة على القلب تنهمر على خديها كقطرات المطر فتشُق قلبها كما يشق الوابِل الحجر .

لم يستطع أسامة فعل شيء غير احتضانها، و حملها بين ذراعيه، فلا فائدة من كلمات غير قادرة على شفاء هذا الجرح المرير.

امسكت ياسمين بقميصه بيديها المرتعشتين، و أسندت رأسها لصدره، فربت على رأسها و قال مواسيا لها :

"-البكاء لن يفيد...كوني قوية لتنتقمي من قاتل جدك .

لا يهم من يكون إياك و أن ترحميه . اطعنيه كما طعن جدك...انا سأحميك و لكن يجب أن تنتقمي ."

أجابته في تأثّـــــر وحزن، و وعدته بالإنتقام، ثم انخرطت في بكاء مرير .

جرح الزمان

حياة تولد، و حياة تموت ... الحياة دموع و ابتسامة، و الموت ذكرى و غفلة ... الذكريات نجوم تنير دربنا و النسيان ستار أنزلناه على قلوبنا . العالم حلقة تجمع الحب و الكره، الدمع و الابتسامة، و العمر قصص و صور يحمل بين صفحاته ذكريات الماضي وآلام الحاضر أجمل ما فيه ابتسامة الحبيب، و أصعب ما فيه دمع القريب، أبهاه لقاء الأنيس و أقساه رحيل العزيز .

فكيف الخلاص من هذا هذا الواقع المرير دون مساعدة الرحمن الرحيم ؟ و أين السبيل لنسيان الخليل دون الدعاء لرب العالمين ؟

وقفت ياسمين في الشرفة تراقب النجوم . الشوق إلى جدها شادي يقتلها، فصورته محفورا في جفونها، و ذكراه تتوالى إلى قلبها في يقظتها ومنامها و في نهارها وليلها، فسهرت مع الأشواق تحت ضياء القمر، و نزلت دمعة حارة تقول البعد لا يطاق فهل الانتقام سيطفئ شعلة الاشتياق أم سيكسر مُهْجَة الإنسان؟

آلاف الكلمات و العبر لم يستطع اللسان الإفصاح عنها، فغرقت في بحر الأحزان متجاهلة ذاك القلب الذي ينفطر مع كل دمعة تسيل على وجنتيها ... أسامة الذي لم يتقبل رؤية محبوبته على تلك الحال، عمل -ليل نهار- لإيجاد حارسة المفتاح الرابع و الناجية الوحيدة من بين الحراس الأربعة من جيل شادي، و لم يوقف بحثه إلى أن عثر على دليل يقوده إلى مخبئها الذي كان في منارة على جزيرة وسط البحر .

عندما أشرقت الشمس، و صارت شاهدا على قدرة الخالق في الإبداع، و بثت دفأها في كل الوجود، و انتشرت أشعتها الذهبية حاملة معها الأمل، أشرقت الفرحة في قلب كل مهموم.
حين غردت الطيور، و صحت الورود، و أفاقت الزهور، و ابتسم النهار، و تمايلت الأشجار فرحة بقدوم الصباح، شدّ أسامة و ياسمين الرحال نحو الميناء حيث تنتظرهم السفينة لتبدأ رحلة تصلح لقص آلاف القصص والعبر، و المحملة بغموض المستقبل وخفاء، المصير نحو مساحات مائية حسناء ساحرة و أخرى مهيبة مخيفة.

وقفت ياسمين على الميناء الذي كان المحطة الأزلية التي فتحت أبوابها للعائد و الراحل، و اللابث و المهاجر فكانت شاهدا على تاريخ لم تعلمه، بصفتها مركزا سياحيا و جوهر المدينة حيث وقفت أجيال استنشقت هواء ثقافات البلدان البعيدة و حملت معها تاريخ الأمم .

تأملت البحر الصافي و أمواجه التي كانت تتلاطم على الصخور، و انبهرت برماله الذهبية التي نافست لمعان النجوم .

التفتت نحو السفينة الراسية في الميناء، المصنوعة من خشب البامبو الذي كان يتناغم مع الطبيعة بتفاصيله الناعمة و البسيطة و الذي جلب الدفء و الاسترخاء في ثنايا المكان فأشرق فؤادها بنور الأمل ناسية آلام القلب، تاركة ذكريات الماضي.
فملأتْ قلب حبيبها بهجة و سرورا و أنسته عبء حزنها و همومها، فابتسم أسامة ابتسامة أنارت حياتها، و لامت نفسها على ما سببته له من آلام، و نظرت له نظرة الحنان قائلة :
- شكرا لك .
- ألم أقل أنني سأفعل أي شيء لأجلك .
- أعرف ذلك ...و لكن قدرتك على استعارة الأشياء الغالية حقا تدهشني ... لا أصدق أنك اقترضت سفينة هذه المرة.

ابتسم أسامة فخورا بنفسه سعيدا لأن مجهوده في إسعادها لم يذهب سدى .
وبينما كانا يتبادلا أطراف الحديث، اقترب منهما رجل مفتول العضلات، وسيم الوجه عريض الكتفين، يحمل تحت عباءته السوداء سيفا لم ترى ياسمين أجمل منه .
دنا منهما قائلا :
- نحن على وشك الإبحار ... أرجوكما استعدا للسفر .
- شكرا لمجيئك معنا يا إمناي .
-حسنا لن أترك طفلين يسافران وحدهما خاصة إن كانا عصفوري حب .
- لن يتجاوز أسامة حدوده.
-أعرف ذلك فهو ابن أخي .

غضب أسامة من كونها ودودة معه، و فتح عشقه لها أبواب الغيرة، فأحرقت نيرانها قلبه، و اقتحم لهيبها روحه، و أخبرها بأنها ليست مضطرة لشكره . فغضبت منه ياسمين لأنه لا يجوز الحديث بهذه الطريقة عن عمه، فلم ينطق المسكين بكلمة فلا رغبة لديه في إغضابها .

ضحك إمناي وهمس :

"- لقد جعلته خاتما في إصبعها ."
انتبهت ياسمين له، وأساءت فهمه بأنه حزين بسبب ما قاله أسامة، فحاولت تهدئته قائلة:
- آسفة ...هو لا يقصد احتقارك أو إغضابك لقد كان متوترا بسببي لذلك أفرغ غضبه عليكَ .
- لا داعي للاعتذار ... لأكون صريحا لقد كان ذلك ممتعا . لم أتوقع أن أراه يوما يغار على أحدهم .
- هذا ... هذا ...
- أنت الوحيدة القادرة على التحدث معه هكذا ... هو حتى لا يستمع لأحد غيرك لهذا جميع الرجال الذين أحضرتهم معي متفاجئين .
-بالحديث عن ذلك من هم هؤلاء الرجال؟
- مجرد أصدقاء أحضرتهم معي ليساعدونا في حالة حدوث شيء ما ... لا داعي لأن تتأقلمي معهم . اعتبريهم غير موجودين .
- هذا قاس .
- مشكلتك أنك طيبة ... ما الذي ستفعلينه في مواجهة هذا العالم القاسي مع هذا القلب اللطيف، وتلك الروح الهشة ؟

لاحظ إمناي أسامة، وهو يرمقه بنظرات التهديد، فأنهى الحديث، وغادر بحجة مساعدة أصدقائه على الاستعداد للرحلة، خوفا على حياته من غيرة أسامة .

ركب الجميع السفينة التي شقت البحر الذي كان يحاكي زرقة السماء و صفاء البلور، و حفرت بين أمواجه طرقا للرحيل و أخرى للعودة، و تراقصت الأشرعة مع الرياح كأنها أجنحة طير يرفرف و يصفق للحياة و ينادي للحرية لتقوده بعيدا عن الآلام، و لكن لم تدم هذه الفرحة، ففي جوف الليل الحالك السواد، تلبدت السحب في الفضاء ، و اهتزت الأرض و السماء، و ارتجت السفينة بسرعة و بقوة، و تمايلت يمنة و يسرة، و صارت كأنها ذرة تائهة في ذلك الفضاء الفسيح حيث تتلاعب بها الأمواج، فتقودها للجنون، و صار الهلاك قاب قوسين منهم أو أدنى، و كان ليكون الموت مصيرهم لو لا رحمة الرحمن التي أخذتهم لبر الأمان .

في اللحظة التي انجلى فيها الضباب وجدوا أنفسهم قد انحرفوا عن وجهتهم، و قد وصلوا إلى منطقة من المحيط أشبه بالخيال...البحر فضي براق تطفوا فوقه

حجارة من الزمرد تزيده جمالا و بهاء، و السحب الوردية تتراقص فوقه، فأضافت نوعا من السحر يجعلك لا ترغب في مغادرة المكان .

فجأة سمعوا صوت غناء يهز الفؤاد، يغذي الروح، و يجذب السامع نحو الأمواج، ثم ظهرت امرأة رقيقة كأوراق الورد، مشرقة كالضحى،وجهها أبيض نقي كالماء، و شعرها أخضر طويل بلون الطحالب، عيونها زرقاء كالبحر ترمق بنظرات ناعمة حنونة كوتَر الجيتار، و صوتها كاللحن الهادئ الذي ينساب في خفوت، ذي جسم منحوت ليس به عيوب .

جذب صوتها جميع رجال السفينة باستثناء إمناي الذي كان بالكاد يقاوم سحرها و أسامة الذي لم يبد عليه التأثر و الذي رمى سهما نحوها، أصاب به ذراعها، فتغير شكل وجهها، و تحولت من امرأة فائقة الجمال إلى مخلوق لن ترى أبشع منه خُلقة و خِلقة، و صرخت صرخة مدوية أيقظت بها جميع الرجال من غفوتهم. كانت صرخة استغاثة تطلب بها المساعدة من بني جنسها.

و دون سابق إنذار ظهرت مجموعة من حوريات البحر أحاطت بالسفينة، و حاولت اغراقها، فاشتد القتال بينهم، و سالت الدماء، فتحول البحر الفضي لأحمر قرمزيا تطفو فوقه الجثث.

انتبهت ياسمين لوجود هالة بنفسجية لا أحد غيرها يراها، تحيط بحريات البحر، و أدركت غريزيا أن تلك الهالة تكونت من تراكم الخوف في قلوبهم . لم تجد الوقت لمعرفة كيف أو لماذا رأتها لأن المفتاح الذي كان حول رقبتها بدأ بالإهتزاز و بعث نورا غريبا، ففهمت أنه لابد من إستعمال تلك القوة، و نادت دون أن تشعر إسم **"أفيس"** فظهر طائر ذهبي ريشه ناعم كالحرير و براق كالجواهر، و ذيله طويل كالطاووس مزركش بالأبيض والفضي، و قال مستجيبا لندائها :

- **الأمن و الأزر تحت أمرك** ...صوت أفيس رهن إشارتك .

-من أنت ؟

-أنا الطمأنينة .

-ماذا ؟...انتظر هذا لا يهم ...أيمكنك مساعدتي؟

-أتريدين تخليص حوريات البحر من خوفهم.

-كيف علمت؟
-نحن موجودون داخل قلبك نراقبك و نحميك و لا نخرج إلا عندما تنادينا .
-نحن؟
-نحن معك سيدتي ... الجميع متشوقون لرؤيتك .

فور أن أنهى كلامه بدأ الغناء بصوت يغذي الفؤاد، و يطرب الروح، فيأخذك لعالم من الخيال بلا أحزان أو ألام ، فيجعلك تسبح في بحر الأنغام و تطير في سماء الألحان ...كان الصوت خال من النوايا الخبيثة و الأوهام عكس غناء حوريات البحر .
شعرت ياسمين بقوة سحرية كبيرة تتدفق من ذاك الغناء و ما هي إلا ثواني حتى تبددت تلك الهالة البنفسجية، و صارت شفافة، فعم الهدوء و السكون المكان، و انجلى الخوف من تلك القلوب المرعوبة .

ثم استعملت ياسمين السحر لإيقاف هذه المأساة، و أرسلت موجة ضخمة لإبعاد حوريات البحر دون إيذائهن و اللواتي تفاجأن من حقيقة وجود ساحرة على ظهر

السفينة، فاعتراهن الفضول و أوقفن المعركة خوفا من إيذائهن لها .

لم يفهم الرجال الذين لم يتفطنوا لقوة ياسمين بسبب انشغالهم بالقتال سبب توقفهم، و لم يعلموا مصدر الصوت الذي سمعوه فهم غير قادرين على شم رائحة السحر مثلما تفعل حريات البحر، و بينما هم على تلك الحال إذ بحوت رمادي عملاق دون وجه أو ملامح لا يمتلك إلا فما كبيرا مسلحا بأنياب لن تصمد أمامها أية فريسة، ظهر خلفهم من العدم .

تلك الضخامة و الشراسة و تلك العداوة و الرغبة الشديدة في القتل لا يمكن أن تكون إلا للدندن، العدو الأول حوريات البحر .
التهم الدندن السفينة كاملة في لقمة واحدة لحسن الحظ لم يمت أحد لأنهم تمكنوا من القفز منها في الوقت المناسب . فرت الحريات خوفا منه، و أخذوا معهم ياسمين، و لم يستطع أسامة فعل أي شيء لأنه لا يستطيع مجاراة سرعتهن في الماء .

فتحت ياسمين التي كانت فاقدة الوعي عيناها،فوجدت نفسها داخل مبنى غريب الشكل من المرجان، و مزين بالياقوت و الجواهر، و الأسماك تسبح حولها دون خوف أو قلق، فتفاجأت، و تسلل الخوف لقلبها، و كادت تبكي من هول ما تراه، ولكنها تمالكت نفسها، ودعت الله لينجيها من هذه المصيبة .

التفتت يمنة فوجدت حوريات البحر في شكلهن الجميل و جميعهن ينظرن لها فسألتهن بجسد مرتعش و عين دامعة :

-كيف يمكنني التنفس تحت الماء؟

- أنت ساحرة و الساحرة لا تتنفس الهواء بل تتنفس السحر و السحر موجود في كل مكان .

-إذا هل ستأكلين قلبي؟

-نحن نأكل قلوب الرجال فقط ...على الرغم من أننا لا نطيق طعمها .

-لماذا؟

-لأنهم أشرار ...لقد استعبدوا بني جنسنا لقرون عديدة، وقاموا باغتصابهن ...حتى أن بعضهم خطفوننا فقط

ليجعلوا منا زينة داخل تلك الأحواض الضيقة حتى يتمكنوا من التفاخر بذلك أمام أصدقائهم ... إنهم وحوش .
-هذا فضيع ... و لكن ليس كل البشر بهذه القسوة ...أنتن تعشن لمئات السنين لذلك على الأرجح أنكن لا تعرفن ذلك ... الأشخاص الذين آذوكن قد أبيدوا منذ خمسمائة سنة ...لم يعد العالم كما تتذكرْنه حتى أن الإمبراطور الجديد أصدر قانونا يمنع الصيد التعسفي للوحوش و حرم استعباد الأجناس اللابشرية .
-مستحيل ... لقد تم خطف أصدقائنا من تجار العبيد منذ أيام قليلة .
-عبيد؟ لا يمكن ... الامبراطورية تحرم العبودية...هل هَاجَمْتُنَّ على السفينة لأنكن ظننتن أننا تجار عبيد ؟
-من النادر رؤية بشر في أراضينا لذلك أسأن الفهم ...و لكن ألم يخطفوك ؟
-بالطبع لا . لقد أتيتُ بمحض إرادتي .

شرحت ياسمين لهن كل شيء، و أزالت سوء الفهم، و قررت مساعدتهم في استعادة أصدقائهن من تجار العبيد .

أوصلتها حوريات البحر إلى جزيرة شبه مهجورة حيث يقطن تجار العبيد، فتسللت ياسمين لمخبئهم في حين بقي البقية على الشاطئ ينتظرونها، و يتمنين لها النجاح، فهن غير قادرات على المشي أو التحرك على اليابسة .

دخلت ياسمين المخبئ فوجدته في حالة يرثى لها، تفوح منه رائحة الكحول . كان التجار و المرتزقة نياما من السكر أما حوريات البحر فكن يبكين و ينتظرن نهايتهن في سوق السوداء حتى أن بعضهن فَضَلن الانتحار على عيش حياة العبودية .

اتجهت ياسمين إليهن بهدوء كي لا يُكشف أمرها و أخبرت الحوريات أنها ليست عدوا وأن أصدقائهن ينتظرهن على شاطئ البحر . حاول تحريك الحوض، و لكنها لم تستطع ذلك لثقل حجمه،و لم تتمكن من إبعاد السلاسل المحيطة به و التي تسبب صريرها بإيقاظ أحد التجار، فأَكتشف أمرها، و حاول الإمساك بها، و لم تجد أي طريق للنجاة إلا بإستعمال السحر، فرمت زجاجة الكحول عليه التي تسببت في إيقاظ بقية التجار، و

إستعملت السحر لجعل الحوض يطير، ثم حطمت الجدار، و ركضت بأقصى سرعتها نحو الشاطئ .

تفاجأ الجميع من وجود ساحرة على الجزيرة، و لم يستسلم التجار من محاولة الإمساك بها رغم خوفهم من قوتها، و استمرت مطاردتهم لها إلى أن وصلت للشاطئ، و لكنها لم تستطع النجاة بسبب أن أحدهم أصابها بسهم في ذراعها، فسقطت من شدة الألم، و لم تستطع فعل شيئ غير رمي الحوض في البحر و التضحية بنفسها في سبيل إنقاذ البقية .

أغمضت ياسمين عينيها مستسلمة للموت، و لكن شاء الرحمن أن يصل أسامة و بقية الطاقم للجزيرة في الوقت المناسب لإنقاذها، فتقاتلوا مع التجار الذين لم يكونوا ندا لهم، و سقط أكثر من نصف المرتزقة على يد أسامة الذي كان يستشيط غضبا من إصابة ياسمين، و لم يرتح إلى أن قضى على كل التجار و العبيد .

كانت حوريات البحر تشاهده، و هو يقاتل مرعوبات من قوته حامدات الله على ظهور الدندن فلو لا تلك الحادثة لكُنّ أمواتا على يديه .

حضن أسامة ياسمين بذراعين مرتعشة من خوفه عليها، و حاول قتل جميع الحوريات، و لكنها منعته، و شرحت له كل شيء .
لم يقتنع أسامة بذلك، فرغبته في موتهن ليست بسبب هجومهن على السفينة، و إنما بسبب اختطافهن لها و مع ذلك لم يستطع فعل شيء أمام رغبة حبيبته، و تقبل الأمر بإكراه .

عُلجت جراح ياسمين عن طريق طبيب البحر و هو مخلوق يشبه في خلقته الإنسان و يُعتبر الحيوان الأليف لحوريات البحر ويوجد في جبينه حجر كريم أصفر اللون يشفي أي عليل عن طريق مسحه على موضع العلة .
و بعد أيام من الراحة على الجزيرة، شدوا الرحال نحو المنارة التي تسكن فيها ماليس، الناجية الوحيدة من

الأماريس، و ركبوا سفينة تجار العبيد التي كانت تقودها حوريات البحر .

مرت الأيام بسرعة، و وصلوا لوجهتم . كانت المنارة محطمة و مغطاة بالطحالب . خافت ياسمين، و ارتجف جسدها، و اصفر وجهها، و تسللت الرهبة إلى فؤادها، و لكن لم يكن هناك جدوى من الخوف لأن الشخص الذي وجدوه داخل المنارة لم يكن قادرا على قتل حشرة لأنه أصابها الجنون و الخرف منذ زمن بعيد .

ماليس التي كانت في يوم من الأيام أيقونة الجمال و مثالا للنساء الحسناوات، و التي أبهرت العالم بذكائها، اختفى الآن بهاؤها، و شحب و جهها، و جن جنونها منذ زمن بعيد من شدة الخوف، و بقيت تردد:
ـ"أنا التالية ...أنا التالية ...سوف يقتلني ."
كانت حالتها كافية لتفهم ياسمين أنها ليست القاتل بل ضحية كجدها، و يئست من محاولة معرفة الحقيقة.

قرر الجميع المبيت في المنارة و المغادرة في الغد، فناموا باكرا لأنهم كانوا متعبين من هذه الرحلة إلا أن

ياسمين لم تستطع النوم، و فضلت مشاهدة النجوم، و في عقلها ألف فكرة و فكرة، و الندم يعتريها لتعريض الجميع للخطر دون جدوى.
غرقت في بحر من الأفكار و دون أن تدرك اقتربت ماليس منها، و نظرت إليها مع عيون مرتجفة و مرعوبة، وقالت :
"-أرجوكم سامحوا أصدقائي ... أنتم تتألمون بسبب قرارنا الأناني ... سأعطيكم نصيحة ... لا تثقوا به ... لا تثقوا أبداً بذاك القاتل . أرجوكم اقتلوه قبل أن يقتلكم .أنتِ لا يمكنكِ تغييره، فقلبه قد تجمد بالفعل منذ سنوات ".

عانقتها، ثم همست في أذنها :
"-إنه يراقبنا ويراقبكِ ... لن يفلت أحد من انتقامه ... أنتِ أملنا ... سأموت قريبًا لذا سأترك لك مذكرتي . لا تخبري أحدًا عنها ... خاصة صديقك ."

لم تستطع ياسمين نطق كلمة واحدة، و عندما استوعبت ما حدث، كانت الكارثة .

ففي الصباح كانت ماليس مقتولة في غرفتها التي كانت تسبح في **الدماء** و لكن لم يكن على جسدها جرح واحد و كأن **تلك الدماء لم تكن دماءها** .

فتش الرجال المنارة و لكنهم لم يجدوا دليلا واحدا و لم تتفطن حوريات البحر اللاتي كُن على الشاطئ لأي دخيل إلا أنهن شهدن ظلا يظهر و يختفي أمام نافذة غرفتها .

لم يستطع أي أحد معرفة ما حدث و كأنها ماتت على يد شبح . لحسن الحظ تمكنت ياسمين من الحصول على دليل واحد قد يقودها لقاتل جدها وذلك عن طريق المذكرات التي أحضرها لها طائر العنقاء التي كانت تربيه ماليس، و لكنها لم تكن قادرة على قراءة محتوى المذكرات لأنها كانت مكتوبة بلغة غريبة لم ترها من قبل .

الشيء الوحيد الذي كان مفهوما هي الصفحة الأولى التي كُتب فيها :
"إذا أردت الحقيقة فابحث عنها في التاريخ الغابر ."

كان من الواضح أن المقصود بها التاريخ المنسي قبل خمسمائة سنة.

مزقت ياسمين الصفحة الاولى لتريها لأسامة، و أخفت المذكرة احتراما لوصية ماليس، وقررت تربية العنقاء لشعورها بالمسؤولية عن موت سيدتها بما أنها فشلت في إنقاذها .

علِم أسامة بيأس و حزن محبوبته، فحاول مواساتها، و لكنها فاجأته بردة فعلها فقد بدت أقوى من المعتاد و كأنها جبل راسخ لا يزحزه عَتيُّ الرياح ، و أخبرته بحزم و إصرار :
-مات كل الأماريس من جيل جدي ...هذا يعني أن الحراس الجدد سيكونون من جيلي ...فلنبحث عنهم، و لننقذهم حتى لا يعانوا من نفس نهاية ماليس، و لنبحث عن أسرار ذلك التاريخ حتى لا تتكرر هذه المأساة .
-تعلمين أنني لن أتخلى عنك ...فلنفعل ذلك معا و لكن عندما يحين الوقت **فلنقتل ذلك القاتل .**
-أعدك ...لن أسمح له بالنجاة .

و هكذا بدأت رحلتهم بين الغموض و الحقيقة، الماضي و الحاضر، المستقبل والمصير، غير عارفين ما ستخلفه الأيام من أمال و مآسي، و ما ستحمله رياح الزمان من مجهول و معلوم إلا أنهم قرروا الوقوف صامدين أمام المحن لأجل **الأرواح التي تنادي للحياة**، و قرروا المضي غير آبهين بجروح الماضي .

أطفال القمر

الخير والشر، العدل و الظلم، المساواة والعنصرية لا يوجد معيار واضح لتحديد هذه المفاهيم ... الأشخاص الذين سيصمدون و الأشخاص الذين سيفوزون هم من سيُعيدون كتابة الصواب و الخطأ .

أولئك الأطفال الذين لم يذوقوا طعم السلام مختلفون عن الأطفال الذين لم يذوقوا طعم الحرب ... لن يفهم الغني الفقير، و لن يفهم الضعيف القوي تماما مثلما لن يفهم أحد معاناة **أطفال القمر** .

في قمة الجبال الشرقية عاشت قبيلة يور في أرض لا يظهر فيها القمر إلا مرة واحدة كل مائة عام ومع ظهوره يولد توأمان يسمان بأطفال القمر، أحدهما يرث حكمة الأجداد و الآخر يولد بحدة البصر . حافظ أطفال القمر على سلام القبيلة لقرون و لكن مع مرور الزمان لم تعد القبيلة تراهم كبشر بل كأداة لخدمة مصالحهم .

بسبب الغيرة و الحسد و الخوف صار أهالي القبيلة يعاملونهم كسلاح لا يهم إن مات أو عاش طالما يخدم مصالح القبيلة ... هذه المشاعر السلبية قادت القبيلة للهلاك .

قبل عشر سنوات ، في يوم عاصف اشتدت فيه الرياح و الأمطار اختبأ الأعداء بين الأشجار خِشية أن تراهم الطفلة التي ورثت حدة البصر .

حذرت الصغيرة القرية، و أخبرتهم أن الأشجار تتحرك نحو القبيلة، ولكنهم كذبوها، و التهموها بالجنون .
حاولت أختها التوأم مساعدتها، واستعملت حكمتها لإرشاد الأهالي، و لكنهم رفضوا ذلك، و بسبب

غطرستهم و عجرفتهم تمكن الأعداء من اقتحام القبيلة و قتل جميع السكان، و فقعوا عيون الطفلة التي كانت تستطيع رؤية كل شيء من مسافة ثلاث أيام، و قطعوا لسان أختها التوأم لكي لا تتحدث بالحكمة مجددا، ثم باعوهما كعبدتان، فافترقت الأختين، ولم يعلم أحد بما حل بهما وصارتا أسطورة...

في الغابة القريبة من منزلها، كانت ياسمين تطعم العنقاء سرا كي لا يُكشف وجودها من قبل عائلتها، و في تلك الأثناء ظهر مخلوق من اللامكان .كان قصير القامة، ذو بشرة قمحية و عيون ذهبية و شعر أسود .كان من الواضح أنه هجين بين قزم و ساحرة .

تفاجأت ياسمين من وجوده، و لكنها تمالكت نفسها لأنها لم تستطع رؤية أية هالة تدل على العداوة تحيط به، من ناحية أخرى لم تبدِ العنقاء أي ردة فعل و كأنها تعرفه .
اقترب القزم من ياسمين، و قال :
-مرحبا ...أنا آكلي .
-آه ...مرحبا ...اسمي ياسمين .

-أعرف ذلك ...شكرا لك يا ياسمين على العناية بطائر سيدتي السابقة.
-السابقة؟ ...أتقصد ماليس ...انتظر، هل وجد مفتاح الغرب سيدا جديدا ؟
-أتعرفين زرقاء اليمامة ؟
-زرقاء اليمامة؟ أليس ذلك لقب تلك الفتاة ذات النظر الحاد من عشيرة يور؟ ألم تمت كما تقول الإشاعات؟
-سيدتي حية و هي تحتاج لمساعدتك ... ستعطيك معلومات تخص جدك و الأماريس السابقين و لكن في المقابل عليك إنقاذ أختها لين .
-أختها؟
-افترقت الأختين منذ عشر سنوات بعد خسارة الحرب ...لين موجودة في غابة أريناس التي يحرسها الخومبابا أما سيدتي ليان فهي مسجونة في صحراء تانيري بعدما اشتراها زعيم قبيلة البرابرة .
-الخومبابا؟ ...أتقصد حارس الغابة ... كيف يمكنني هزيمة هذا المخلوق الأسطوري ؟

أعطاها آكلي ورقة و همس:
"الجواب في هذه الرسالة."

ثم همّ بالمغادرة ولكن ياسمين أوقفته، و سألته عما حدث لسيدته السابقة و لكنه رفض الإجابة لأن خدم الأماريس لا يكشفون أسرار أسيادهم السابقين . لم تستطع ياسمين فعل شيء فحتى حيوانات المشاعر التي استدعتهم رفضوا إخبارها عما حدث لجدها رغم أنها سيدتهم .

كانت غارقة في بحر من اليأس، فهي لم تستطع إيجاد دليل واحد يرشدها، و المذكرة التي تمتلكها لا تستطيع قراءتها . و بينما هي على تلك الحال تفاجأت بآكلي و هو يرتعش خوفا، و يتعرق قلقا .

لم تفهم ياسمين ما به، و حاولت سؤاله، و لكنه صرخ:
-إنه يراقبنا ...القاتل يراقبنا ...لن يستطيع أحد إطفاء نيران انتقامه .
-لماذا يريد الانتقام ؟
-لقد أخطأوا ... أخطأ الأماريس السابقون و قتلوا الشخص الخطأ و هو الآن سينتقم ... ابتعدي عنه ... إنه ليس شخص يهتم بالمشاعر ... لقد تخلى عن إنسانيته منذ زمن بعيد .

فرّ آكلي خوفا منه فور أن أنهى حديثه أما ياسمين فقد تملكها الهلع من كلامه، و عادت مسرعة لمنزلها لتجنب شرور العدو .

وصل أسامة و ياسمين برفقة إمناي للغابة التي كانت تبث الرعب في نفوس الزوار بسبب ضبابها الكثيف و أشجارها العالية التي منعت أشعة الشمس، و أشواكها التي أحاطت كل أركانها و خاصة بسبب الجثث التي كانت في كل مكان، فلم تشهد عين مكان أشد رعبا منها .
اقترب إمناي من ياسمين، و سألها:
- هل أنت متأكدة من وجود أحد الأماريس في هذا المكان؟
- هذا ما قاله آكلي .
- ولكن ... عدونا هو حارس الغابة الأسطوري ... لو كان من السهل هزيمته لقضت عليه الإمبراطورية منذ قرون .
- وفقا لما كُتب في الرسالة، فإن حياة الخومبابا و قوته مرتبطان **بشجرة 'تيموم'** الموجودة في قلب الغابة، و لكنها تحتضر كل خمسمائة سنة، لذلك يضحي حارس الغابة بمئات الأطفال لإعادتها للحياة .

- شجرة تيموم هي شجرة الوحوش ... لا نعرف كيف تنبت أو لماذا، و لكنها خطيرة جدا ... بعض المخلوقات تولد كالبشر من أب و أم و البعض الآخر يولد من هذه الشجرة و يكون الوحيد من نوعه و ترتبط حياته بحياتها ... إذا كان الخومبابا ينتمي لهذه الفئة فربما نمتلك فرصة للفوز عليه ... على الرغم من أن هذا سيكون عسيرا .
- و لكن أليس غريبا ألا تعلم الإمبراطورية بنقطة ضعفه رغم قوة جهاز مخابراتها؟
- إذا كانت الشجرة تحتضر كل خمسمائة سنة فهذا يعني أن آخر مرة حصل فيها ذلك كان في ذاك التاريخ المحرم لهذا من المستحيل وجود أي سجلات تخص هذا الموضوع حتى في الأرشيف السري .

تفاجأت ياسمين من المعلومات التي يمتلكها إمناي، ثم تذكرت أنه يعمل في قصر الإمبراطور الحالي الذي لازال صغير السن لذلك تجاهلت شكها و أكملت طريقها.

حاول الجميع الوصول إلى قلب الغابة حيث يوجد الخومبابا، و لكن الضباب السحري كان يمنعهم و يعيدهم

لنفس نقطة البداية إلى أن ظهر ببغاء كان يتصرف بغرابة و يردد :
"-الضباب ...السحر ...المفتاح."
سأل إمناي أسامة :
-ما خطب هذا الطائر؟
-الضباب ...السحر ...أضنه يحذرنا من كون الضباب مصنوعا من السحر .
-ماذا عن كلمة مفتاح؟
-ربما يقصد مفتاح الشرق ... أظنه يعرف لين .

لم تنطق ياسمين بحرف واحد، و سبحت في بحر من الذكريات بين أحضان الماضي، و تذكرت جدتها و القصص التي كانت تحدثها عنها فاتجهت نحو أسامة، و قالت :
-إنه الضباب .
-الضباب؟
-كما تعلم فإن جدتي ساحرة ... عندما كنتُ طفلة كانت تقص عليَ العديد من القصص و الأساطير خاصة المتعلقة بالسحر القديم .
-السحر ...القديم؟

-إنه أحد أسرار السحرة ... رغم أنه اختفى إلا أن تأثيره على العالم باق إلى الآن، و هذا الضباب قد يكون أحد تلك التعاويذ .
-هل أخبرتكِ بأي شيء يخصه؟
-ضباب الوهم ... تعويذة قديمة تتلاعب بالعقول، و تجعلك ترى أشياء غير موجودة هدفها إما تضليلك أو التلاعب بعقلك إلى أن تصاب بالجنون ...لستُ متأكدة إن كان هذا الضباب سحرا قديما أم لا، و لكن ...
-ياسمين ... لا تترددي ...افعلي ما ترينه صائبا .

ابتسمت ياسمين بإشراق، فملأت ذلك المكان المخيف حبا وأملا . من ناحية أخرى كان إمناي يشاهد هذا الثنائي، و شعر أنه قد تم اقصاؤه من المحادثة، و تم نسيان وجوده، فتدخل قائلا :
-أرجوكما احترما مشاعر العُزاب .أضف لذلك لا يوجد دليل لكون الطائر على صلة بلين ...قد يكون فخ .
-نحن في أرض العدو . المخاطر تحيط بنا بالفعل . اتباع الطائر سيكون أأمن بالنسبة لنا .
-و لكن ....

-قال آكلي أن لين هي الأماريس الحارسة لمفتاح الشرق و التي تتمحور قوته حول الطبيعة ... إذا كنتُ قادرة على رؤية الهالة التي تنتجها المشاعر فربما تكون لين قادرة على التواصل مع الحيوانات .
- هذا جنون ...عدونا هو الخومبابا، خطأ واحد سيكلفنا حياتنا ...اتباع مجرد فرضيات لن يقودنا إلا إلى ...

لم يسمح له أسامة بإكمال كلامه و نظر إليه نظرة تهديد ففهم إمناي ما يجب فهمه، و صمت فلم ينطق بحرف واحد، و اتبعهم بهدوء .

نادت ياسمين بأعلى صوتها 'كاتوس' فظهر قط سمين، بني اللون يرتدي ملابس فضية غربية، و أجاب ملبيا لندائها :
-**الأمن و الأزر تحت أمرك** ...مخالب كاتوس رهن إشارتك .
- كاتوس، من أنت؟
-أنا هو الاتزان .
-أيمكنك مساعدتنا؟
-لن يدوم السراب الذي أزعج سيدتي .

تقدم كاتوس، و مزق الضباب بمخالبه، فظهر طريق لم يروه من قبل .
استمر القط في قطع السراب و البقية يركضون نحو الطريق الذي يظهر من اللامكان، و بقوا على هذا الحال إلى أن تجاوزوا ذاك السحر، و وصلوا لوسط الغابة حيث اختفت الأشواك التي كانت في كل مكان، و اختفى معها الضباب .

انبهر إمناي بقوة كاتوس، و بدت الحيرة واضحة على وجهه، فلاحظ القط ذلك، و قال:
"-أنا كاتوس ...أنا هو الإتزان ...أبيد السراب و الأوهام ".
ثم اختفى .

سأل أسامة ياسمين :
-هل كل المشاعر بمثل حماقته؟
- ... كاتوس نشيط قليلاً فقط ... و مع ذلك أظن أن كل حيوانات المشاعر تمتلك شخصية خاصة بها فأفيس كان هادئا رغم كونه طائرا .

-أفيس؟ اتقصدين ذلك الطائر الذي ظهر عندما هاجمتنا حوريات البحر؟ ...كانت قدرته الغناء أليس كذلك؟
-هذا صحيح ...غناء أفيس يُبيد الخوف كما يبد كاتوس السراب .

تفاجأ أسامة من قدرات حيوانات المشاعر، فهذه القوة لا يمكن أن تكون لأضعف المفاتيح، و تذكر ما كتبه غيلاس في رسالته الموجهة لجد ياسمين حيث قال أن مفتاح الشمال ليس الأضعف، و أنه امتلك قوة لم يستطع الأماريس السابقين تحريرها، ففهم كل شيء، و قرر التزام الصمت .

واصل الجميع السير بين أحضان الغابة التي كانت أجمل بكثير مما كانت عليه و لكن لم يكن هناك زهرة واحدة مما أثار فضول الجميع .فجأة اختبأ الببغاء الذي كان يتبعهم، بين أوراق الأشجار و قد بدا عليه الخوف، فاختبأ الجميع أيضا غير عالمين بحقيقة ما ينتظرهم .

بين الأشجار الكثيفة و بين النباتات الكثيرة،ظهر مخلوق ضخم البنية يشبه السلحفاة في الشكل . كان يمتلك وجها مسطحا من البلور، و يمشي ببطئ شديد .
ظهر أمامه فجأة أرنب، و لكنه مات فور أن رأى انعكاس صورته على وجهه.

تسلل الخوف لنفوس الجميع، و تيقنوا أن هذا المخلوق هو 'الصناجة'، فلا يوجد مخلوق يعيش في الغابة أكبر منه حجما، و لا يوجد حيوان قد يفكر في اعتراض طريقه، فالجميع يخشاه كما يخشون الموت لهذا قرروا الابتعاد عنه، و سلكوا طريقا آخر .

غابت الشمس، و أسدل الليل ستائره، فعمّ ظلام دامس غطى الأرض . لم يستطع أبطالنا أخذ قسط من الراحة خوفا من الحيوانات المفترسة التي ستظهر لهم من العدم، و اكملوا سيرهم نحو قلب الغابة، فمروا بمقبرة مقفرة، تبث الرعب في النفوس .

كانت المقابر قديمة و أغلبها فارغة، و كأنه تم نبشها عن طريق مخلوق ما، و كانوا يسمعون مع كل خطوة

يخطونها صراخا لأصوات إما تطلب مساعدتهم أو تحذرهم من التوغل أكثر . حضن أسامة ياسمين قائلا :
"-لا تقلقي ...سأحميكِ ."
فاطمأنت و عادت البسمة على وجهها .

أمسك أسامة يدها، و تقدموا للأمام غير مبالين بتلك الأصوات . فجأة سمعوا عواء زلزل المقبرة و ظهر ظل ضخم لحيوان يقف على رجلين، اتضح فيما بعد أنه 'الأكوس'، و هو مستذئب يحب مجاورة الموتى، و لا يأكل إلا الجثث كما أنه لا يبقى في موضع واحد لأكثر من ساعة واحدة، و لسوء حظهم قد صادفهم .

شمّ الأكوس رائحتهم، و هجم عليهم ليقتلهم ويأكلهم، فأمسك أسامة بغمد سيفه، وضربه به فطار المستذئب لبضع أمتار، و تقدم إمناي فلوح بسيفه، و أصابه إصابة مميتة . علم الأكوس أنه لن يصمد أمامهما، و قرر مواجهة الأضعف بينهم، فقفز على ياسمين ليفترسها إلا أن أسامة تمكن من حمايتها، و قطع يده .

صرخت ياسمين بأعلى صوتها منادية 'فُولْبَاسْ'، فظهر ثعلب ذهبي اللون مع غرة بيضاء وعيون كأجنحة الغراب لا يوجد شيء أشد سوادا منها، و أجابها :
-**الأمن و الأزر تحت أمرك** ...وَهْمُ فولباس رهن إشارتك .
-فولباس من أنت؟
-أنا هو التوهم يا سيدتي .
-تشرفتُ بمقابلتك ...أرجوك أنقذ أسامة و إمناي .
- سيدتي تقلق كثيرا، فهما ليسا بحاجة لمساعدتي
-أرجوك ...
-سمعا و طاعة .

تلألأت عيون الثعلب و كأنها النجوم، و أخفى وجود الجميع بين السراب، ثم صنع مجسمات وهمية لهم، و جعلها تركض نحو الصناجة التي أخفاها هي الأخرى، و فور وصول الأكوس لهناك، أنهى الوهم فمات الذئب في اللحظة التي رأى فيها انعكاسه في وجهها . اكتشفت الصناجة وجود البقية رغم اختفائهم بين سراب فولباس، و كأنه لا يؤثر فيها ربما لأنها عاشت بجانب الضباب السحري فكونت مناعة ضد الوهم .

كان موتهم محتوم فلا أحد نجى بعد مواجهته لها إلا أن ياسمين كانت أذكى بكثير من جميع فرائسها، و استعملت سحر الماء، فماتت الصناجة فور رؤيتها انعكاس وجهها على الماء و بهذا نجوا بأعجوبة، و حمدوا الله على رحمته و على بقائهم أحياء.

جلس أسامة و ياسمين تحت الشجرة يناظرون شروق الشمس الذي حمل معه الأمل، فأسرّ القلوب، و رسم السرور و كان دليلا على قدرة الخالق في الإبداع .

و أخيرا تمكن أبطالنا من الوصول لقلب الغابة بعد مجهود عسير و مسيرة طويلة، و لم يبقى ما يعيقهم إلا متاهة الخومبابا التي لا يمكن تجاوزها إلا بعد الإجابة عن الأسئلة الثلاث .

حاولوا دخولها، و لكن قزم أخضر اللون،ذو عيون فضية و شعر بني، ظهر أمامهم، و أوقفهم قائلا :
"-هُو هُو هُو ...يوجد الكثير من الوجوه الجميلة التي ستضاف لمجموعتي ...هُو هُو هُو . "

في اللحظة التي علموا فيها أن ذلك القزم هو الخومبابا، تسلل الخوف لفؤادهم، وانعقد لسانهم، و اصفرت وجوههم اصفرار الميت، و تراقص قلبهم على ألحان الرعب .
أكمل الخومبابا كلامه :
"-هُو هُو هُو ...متاهتي لن يدنسها الضعفاء و لا الحمقى ...وصولكم إلى هنا يعني أنكم لستم منهم ...لذلك حلوا الألغاز الثلاثة و قاتلوا لتبقوا أحياء و إلا فإن الثمن سيكون رؤوسكم ...هُو هُو هُو ...لا تتوقعوا الرحمة فأنا لا أعطف على الضعيف حتى يصبح قويا، و ان صار قويا فلا تجوز عليه الشفقة."
ثم رماهم داخل المتاهة و كأنهم مجرد ألعاب تمتعه بنضالهم للبقاء أحياء .

كادت ياسمين تبكي من شدة خوفها، و لكنها تمكنت بالكاد من تمالك نفسها خشية أن تكون عائقا لأسامة و إمناي .

أمسك أسامة بيدها و كأنه يعرف كل ما تحمله في قلبها من آلام ومخاوف، ثم سار ليقودهما للمخرج، فسألته ياسمين :

- كيف تعرف الطريق ؟
- تمكنت من رؤيته عندما رمانا ذلك المزعج؟
- لقد كان ذلك لثوان فقط كيف تمكنتَ ...
- يكفي أن أرى الشيء لمرة واحدة لأحفظه .
- هذا هو الفرق بين العباقرة أمثالك والأغبياء أمثالي .
- أنت ذكية ودائما ما تفاجئيني بقراراتك ... لهذا أحبك .

كان إمناي يحاول جاهدا تجاهل مغازلة هذان الاثنان، فهما يُشعرانه بالنقص لكونه أعزب رغم أنه في الثلاثينيات من عمره، أما ياسمين قد كانت خجلة من كلام أسامة، فأحمر وجهها، و عجز لسانها عن نطق حرف واحد، و حاولت تغيير الموضوع قائلة :

- أنت دائما ما تنادي الخومبابا بذلك المخلوق أو ذلك المزعج . ألست خائفا منه؟ ...أقصد الجميع يخافونه فلا أحد ند له .

- الخوف لن يبعد عنك الموت، و لكنه سيمنعك من الحياة ... إذا كان هناك شيء يجب علي فعله فسأفعله فقد **سئمت من الندم** .

تفاجأت ياسمين من إجابته، ولم تسأله عما يقصده لأنها شعرت بأنها ذكرى حساسة، و لأن الهالة التي كانت تحيط به كانت مخيفة بما يكفي لتعقد لسانها . فقد كانت سوداء قاتمة كالليل الحالك، و التي كونتها مشاعر الحقد، و كان يتخللها لون أحمر كلون الدم صنع من مشاعر الغضب، فلم ترى هالة بهذا الحجم أو القتامة .

وصل الجميع لمفترق طرق أحدهما طريق مزين بالجواهر والآخر مليء بأشجار البرتقال ، ثم ظهر أمامهم الخومبابا، و سألهم:
-"هو هو هو ... أول زماني لؤلؤ أبيض و ثاني زماني زمرد أخضر و ثالث زماني ياقوت أحمر . أعرفني و خذ مني ذهب أصفر ... حلوا اللغز أو رؤسكم الثمن."
لم يعرف ياسمين أو إمناي الإجابة، و لكن أسامة أجاب بالبرتقال، و كانت إجابته صحيحة . سمح لهم الخومبابا بالتقدم، فسلكوا طريق أشجار البرتقال الذي تحول لرمال .

اختفت جدران المتاهة و كانوا بمساحة رملية و كأنهم وسط صحراء شاسعة . اشتدّ بهم العطش بسبب الحرارة

و لم يجدوا مأوى من تلك الشمس الحارقة، و لم يكن أمامهم منجى سوى الخروج من المتاهة .
و بعد جهد عسير، وصلوا إلى مفترق طرق آخر، فظهر الخومبابا مجددا، وسألهم :
-"على بقرتنا الصفراء و حليبها مرارا من الأمام فركة و من الخلف مسمار ، فمن أكون أو الثمن فؤاد ."
أجاب أسامة بأن الحل هو العقرب، فظهر الطريق الذي يقودهم نحو اللغز الثالث .

تحولت الصحراء التي كانت تطغى على المتاهة إلى أرض خضراء لا يتوقف فيها المطر، فاشتد البرد، و تجمدت أطرافهم، و بالكاد تمكنوا من مواصلة السير .
كانوا أحيانا يجابهون الرياح التي بدت و كأنها سترمي بهم خارج المتاهة، و أحيانا أخرى يتجنبون النيران التي أحرقت الأشجار بعدما أصابها البرق إلا أنهم تمكنوا أخيرا من الوصول إلى مفترق الطرق الأخير، فظهر الخومبابا، وسألهم :
-"على قوس بلا سهم تجده في الصباح و في الليل ليس له أثر ."

و كالعادة لم يستطع أحد حل اللغز غير أسامة الذي عرف أن الإجابة هي قوس القزح، فغضب الخومبابا، و أحرق المتاهة .

وجد الجميع أنفسهم أمام شجرة سوداء مخيفة تحتضر و بجانبها قفص ذهبي به شابة في العشرين من عمرها ذو شعر أبيض بلون القمر و عيون سوداء و خلفها أقفاص فضية بها أطفال صغار يبكون خوفا من الحارس، فعرفوا أن تلك الفتاة هي الأماريس الحارسة لمفتاح الشرق وأن تلك هي شجرة تيموم التي تنجب الوحوش القوية أما الأطفال فهم أضحيات للشجرة حتى تستيقظ من غفوتها .

هجم عليهم الخومبابا، فإذا بالأشجار والنباتات تتحول للون الأسود، و تبدأ في مهاجمتهم .حاولت لين مساعدتهم فأنار مفتاح الشرق الذي كان على شكل سوار ترتديه على معصمها، و إذا بالأشجار والنباتات تتوهج بنور أخضر كالزمرد، و تتحرك لتوقف هجمات الخومبابا .

استغل أسامة الوضع، وحمل سيفه لمقاتله، و تبعه إمناي ليمدّ له يد العون، فاحتدم القتال، وتدمر المكان، وأصيب الجميع بجروح خطيرة .

لم تستطع ياسمين فعل شيء غير مشاهدة المعركة من بعيد . حاولت إيجاد طريقة لمساعدتهم و لتحرير لين إلا أن كل محاولاتها باءت بالفشل، و كادت أن تستسلم لو لا تذكرها لرسالة آكلي الذي أخبرها بنقطة ضعف حارس الغابة، فأسرعت نحو شجرة الوحوش، تسابق الرياح و الزمان حاملة معها آمال كل الموتى الذين قتلهم الخومبابا .

علم الحارس بخطة ياسمين عندما رآها تركض نحو الشجرة، و حاول مهاجمتها إلا أن أسامة أوقفه، و حماها بجسده، فأصيب بجراح خطيرة .

تمكنت ياسمين أخيرا من الوصول للشجرة، و استعملت سحر النار، فاحترقت، و لم يبقى منها سوى الرماد .
خسر الخومبابا قواه وبدأ يتلاشى شيئا فشيئا إلى أن اختفى من الوجود و لم يترك خلفه سوى بعض الكلمات

التي حملت معها الآلام والذكريات المريرة، فكلماته الأخيرة هي :
"-أردت حماية الغابة ... هو هو هو ... هذا المكان الذي التقا فيه وأزهر فيه **حبهما** ... **الأمير و الساحرة** ... لقد أحبها و لكنه كان حبا لم يتحقق أبدا ... **ولدتُ لحماية ذلك الحب** . لست أخشى أن تتلاشى روحي، و لكنني أخشى تلاشي حبهما ."

نزلت دموع من عينيه، و نظر إلى أسامة و ياسمين، و أكمل كلامه :
-"هو هو هو ... ربما لم يتلاشى بعد ... حبكما لن يتحقق ... **إذا أردت حمايتها فعدوك هو التاريخ** ... **لعنة أيور لن تزول أبدا** ... هو هو هو ."

لم يفهم أحد ما يقصده إلا أسامة الذي كان يعرف كل شيء بالفعل، أما ياسمين فقد تمكنت من رؤية الهالة الزرقاء التي كانت تحيط به و التي كانت هالة الحزن .

بمجرد موت الحارس، بُثت الحياة في الغابة و نبتت الورود و الأزهار في كل مكان، و عادت كما كانت عليه

قبل خمسمائة سنة .كما تحررت لين و جميع الأطفال من الأقفاص التي تلاشت مع تلاشي روح الخومبابا .

حط الببغاء الذي كان يتبعهم، على كتف لين، و فجأة بدأ بالكلام :
- آسفة لأنني أتحدث معكم عن طريق الببغاء، و لكنني فقدت القدرة على الكلام بعدما قُطع لساني ... شكرا لكم على إنقاذي . سأرد لكم هذا الدين مهما كلفني الأمر.
- لست مضطرة لفعل ذلك، فأنا من الأماريس مثلك تماما ... أضف لذلك أختك هي من طلبت منا انقاذك .
- أختي؟ هل هي حية .
- لا تقلقي سننقذها أيضا ... و لكن كيف يتحدث الببغاء بما تريدينه؟
- مفتاح الشرق هو مفتاح الطبيعة، و النباتات و الحيوانات جزء منها لذلك فأنا قادرة على التواصل معهم عن طريق التخاطر، و الببغاء يكرر كل ما أخبره به.
- مذهل .

استمرت الفتاتان في تبادل أطراف الحديث، و في اللحظة التي كانتا فيها بمفردهما بعد ذهاب أسامة و

إمناي لتلقي العلاج و إعادة الأطفال لمنازلهم، سألت ياسمين لين :
- **التاريخ المحرم** ... أتعرفين شيئا عنه؟
- آسفة ... لربما ورثتُ الحكمة و لكنها محدودة بالمعرفة التي جمعتها قبيلتي لقرون، لذلك فهي محدودة بالمدة التي عاشوها .
-ألا تعرف قبيلتك شيئا عن ذلك التاريخ ؟
-ما تريدين معرفته هو ما حدث قبل خمسمائة سنة أي قبل تأسيس الامبراطورية، و لكن قبيلتي تأسست بعد ذلك . -هذا يعني أنه لا يوجد طريقة لمعرفة الحقيقة .
-هذا ليس صحيحا . أذكر أن أحد أصدقائي تعرف منذ زمن بعيد على جدة عجوز عمرها يفوق الخمسمائة سنة إلا أنها اختفت منذ زمن بعيد خوفا من الامبراطورية التي كانت مستعدة لقتلها بسبب تلك المعلومات التي تمتلكها ...لزلتُ على اتصال بذلك الصديق، سأسأله عن تلك الجدة، و أخبرك إن حدث شيء ما .
-شكرا لك ...حقا شكرا لك ...أنا ...أنا ...
-أنا من يجب عليها شكرك يا ياسمين لذلك توقفي عن البكاء .

كانت المعلومات التي حصلت عليها ياسمين كخيط نجاة ينقذها من الغرق في بحر الزمان و الغموض، و كنور الشمس ينير ذاك الطريق الذي كان مظلما فيقودها نحو أبواب الحقيقة ويخرجها من ذاك الكبوس . كانت ياسمين سعيدة جدا و لكنها لم تدرك انه سيأتي يوم ستتمنى فيه أنها لم تعرف شيئا .

زرقاء اليمامة

الحب كأرض خضراء، و الولاء كالمطر الغياثي، أما الخيانة فهي كالنار التي جردت الأرض من سنائها و جمالها، فلو علم نصف البشرية معنى الوفاء لعاش النصف الآخر في سلام ... فيا قلب اصبر على غدر الزمان، و أنبض بلحن الحياة، فالأيام ستكشف الأسرار، و سيرفع الستار عن غموض الغابر، فيعمّ السلام، و لكن لن يجد فؤادك الأمان لأنه مصير الأماريس الذين اختيروا ليتحملوا بؤس الأجيال في كل زمان و مكان ...الذين لم يولُدوا ليرتاحوا بل ليسعِدوا كل إنسان .

في كوخ صغير لطيف، ينبض بالدفء و البهاء، بُنِي وسط الغابة، فتزوج بهاؤه برُواء الطبيعة فصنعا جمالا لا يضاهيه جمال،تعجز عن رسمه يد كل رسام، كانت الفتاتين تتبادلان أطراف الحديث :

-أنا حقا مدينة لك و لأسامة ... شكرا لكما على توفير مكان أسكن فيه. -الفضل لأسامة، فهو من استعاره من أحد أصدقائه .

-و لكنك من طلب منه ذلك ...بالحديث عنه ما هي علاقتك به؟

-نحن ...نحن ...

-حبيبان؟

-...هذا ...

-إذًا هذا صحيح.

قهقهت لين، ثم أكملت كلامها على لسان الببغاء :

-تذكرتُ ...لقد أرسلتُ رسالة لصديقي، و هو يبحث الآن عن تلك الجدة العجوز ...و لكن ألا بأس بأن لا تخبري أسامة عن ذلك؟

-...إنها وصية ماليس .

فجأة اقتحم آكلي المكان، و قد بدت عليه علامات القلق و الخوف . حاولت ياسمين تهدئته، و لكنه أمسكها من ثوبها قائلا :

"-...سيدتي ...أرجوكم انقذوها...أرجوكم"

صُعقت لين من كلماته، و نزلت دموعا خفيفة كقطرات المطر، فبللت وجهها، و غسلت خديها، ثم أمسكته من ياقته بيدين مرتعشتين، و استعملت قوة مفتاح الشرق لتسأله عن طريق الببغاء :

-ما الذي حدث لأختي؟

-آه ...أنتِ أخت سيدتي تشرفت ب ...

-اخرس و أجبني .

-في الحقيقة،طلبت مني سيدتي أن أمنعكم من الذهاب إلى صحراء تانيري، و لكن إن فعلتُ ذلك فستموت سيدتي .

-تموت؟ ...لما قد تموت أختي ...

- العدو ... لقد اختارها لتكون ضحيته التالية .

-ماذا؟

-أنا حقا لا أعرف ما يسعى إليه فلا علاقة لها بما حدث.

أجهشت لين بالبكاء، و جثت على ركبتيها، فجسدها لم يعد قادرا على حملها.

ذاك اليأس الذي تسلل لقلبها، تلك الهالة الزرقاء القاتمة التي دلت على الحزن الشديد، و ذاك المنظر الفظيع الذي يمزق الروح و ينفطر لرؤيته الفؤاد، ذكر ياسمين بحالتها عندما توفي جدها لذلك لم تستطع احتمال ذلك المشهد، و قررت مساعدة لين حتى لو كان ثمن ذلك حياتها، و سألت آكلي محاولة جمع المعلومات التي قد تفيدها في الوصول لغايتها بما أنه يمتلك فمًا غير مسؤول :

-قلتَ بأن ليان طلبت منك إبعادنا عن الصحراء، ولكنك عصيت أمرها ...هل يستطيع خدم الأماريس فعل هذا؟

-يمكننا عصيان سيدنا إن كان ذلك لمصلحته، و لكن ثمن ذلك باهض جدا .

-ما ثمن عصيانك؟

-الأمر يعتمد على أسيادنا و ما يطلبونه كتعويض ...آخر مرة عندما عصى صديقي أوامر سيده، طلب منه ذاك الأماريس عديم المشاعر أن يدفع حياته ثمن عصيانه .

-ماذا؟ ...قلت آخر مرة؟ ...هل حدث ذلك في جيل جدي؟

رفض آكلي الإجابة عن سؤالها بسبب القيود و القوانين التي يخضع لها كخادم للأماريس، و بينما هم على تلك

الحال إذ بأسامة يدخل الكوخ، فوجد آكلي الذي تسمر في مكانه خوفا و رهبة، و انصهر قلبه من نيران الهلع و الذعر، فغاب صوته، و تبددت أحشاؤه، و تجمد الدم في عروقه، و مال وجهه للون البنفسجي .

حاولت ياسمين تهدأته، و أخبرته أن أسامة ليس عدوا و أنه حليف يمكن الإعتماد عليه، و لكن مع ذلك لم يستطع آكلي نطق حرف واحد، فقد تخدر لسانه، و ثقُل من شدة خوفه،فلم تستطع ياسمين فعل أي شيء غير الاعتذار لأسامة قائلة :

-أرجوك أعذره، فمنذ حادثة ماليس،صار آكلي يخاف الغرباء .

- آكلي؟ تقصدين ذاك الخادم لحارس مفتاح الغرب الذي حدثتيني عنه؟

-هذا صحيح .

-ألم يخبرك بأي معلومة جديدة؟

- كل المعلومات التي حصلتُ عليها كانت محدودة .

تنهد أسامة، و حدق في آكلي بنظرات الاحتقار و الشك، ثم سأله :

"-...ألم تخبرها سابقا عن شخص مات ظلما على يد الأماريس السابقين ؟ من هو ؟ ولماذا مات ؟ ...أجب ."

استبد الخوف و الذعر بآكلي، فأخذ يرتعش ارتعاش أوراق الأشجار أمام عتيِّ الريح، و كأنه فريسة أمام أسد جائع،فاختبأ خلف ياسمين التي غضبت من أسامة، و قالت له لائمة :

-أسامة ...يُمنع على خدم الأماريس الكشف عن أسرار أسيادهم السابقين لذلك لا تقْسُ عليه .

-و لكن إن كان في كل جيل يوجد خائن من بين الأماريس و إن كان الشخص الذي قتله الحراس بريئا ألا يعني هذا أن الخائن مازال حيا .

- ...انتظر لحظة ...أتقصد أن الشخص الذي قتل جدي و ماليس هو ذاك الخائن ... هذا ...هذا .

-ياسمين ...فكري في الأمر.في كل جيل يوجد أربع أماريس و هذا يشمل جيل جدك ... إن كان أحدهم مات ظلما، و جدك و ماليس قُتلا ألا يعني أن الخائن من قتلهم؟ ... لقد تأكدنا من موتهم جميعا إلا غيلاس ... لقد حاولنا إيجاد قبره و لكننا لم نستطع العثور على منزله فما بالك بجثته .

-و لكن الرسالة التي أرسلها لجدي ...
-قد تكون فخا نصبه لجدك.
-مستحيل لم أرى أية هالة خبث تحيط بالرسالة -ياسمين ...أنتِ ما زلت غير قادرة على التحكم بقوة مفتاحك و لا نعرف إن كنتِ قادرة على رؤية الهالة المنبعثة من الأشياء المادية ...لا يمكننا إنكار تورط غيلاس بما أنه المشتبه به الوحيد .

انصدمت ياسمين من هول ما سمعته، فالأمور تصير أكثر تعقيدا يوما بعد يوم . ربطت لين على كتفها قائلة بلسان الببغاء :
-مفتاح الشمال كان ملكا لجدك و أختي ورثت مفتاح الغرب من ماليس و هذا يعني أن مفتاح الشرق الذي أملكه إما انه كان ملكا لغيلاس أو لذاك الرجل الذي مات ظلما، و مع ذلك لا يجب أن نتسرع في اتخاذ القرار ...**أشعر أننا غفلنا عن شيء ما** .
-... لا جدوى من التفكير في ذلك دعونا الآن نستعد لإنقاذ أختك .
قرروا تجاهل الموضوع مؤقتا و الذهاب لمساعدة ليان، في حين بقي آكلي متجمدا في مكانه يرتعش من شدة

الخوف، و **حاول إخبارهم بشيء ما**، و لكن الكلمات لم تخرج من فمه بسبب القيود التي تُفرض عليه كخادم للأماريس .

وصل الجميع برفقة إمناي والإبل التي استعارها أسامة، إلى الحدود التي تفصلهم عن صحراء تانيري التي كانت بحرا أصفر، أغرق كل الدنيا التي أمامهم برمال بها بريق الذهب و لمعان الألماس و لكن هذا المنظر البديع كان بمثابة كابوس لكل المخلوقات، فهذه الأرض لا ينبت فيها نبات، و لا يتفجر من جوفها ماء، و لا يجرؤ طير على التحليق فوقها لأن كل مخلوق يطير في سمائها أو يسير على أرضها سيحترق حتى الموت من شدة الحرارة، و في الليل ينقلب المناخ رأسا على عقب، فتصير أرضا باردة تجمد كل الزوار .

نادت ياسمين 'كامِلوم' فظهر أمام ناظريها جمل ذهبي ذو أعين بنفسجية، و قال :
-**الأمن و الأزر تحت أمرك** ...سنام كاملوم رهن إشارتك .

-كاملوم من أنت؟
-أنا هو الصبر، يا سيدتي .
-أيمكنك مساعدتنا؟ -السيدة تأمر و كاملوم ينفذ ...إن أردت عبور الصحراء بأمان، فأمسكي بسنامي .

لم تفهم ياسمين ما يقصده و مع ذلك وثقت به، و طلبت من الجميع إمساك سينماه الذي توهج بنور بنفسجي أحاط الجميع . و قال كاملوم بفخر :
"- لقد شاركتكم قوتي و الآن لا البرد ولا الحر سيؤثر عليكم، ولا الجوع أو العطش سيهلككم ."
ثم اختفى دون أثر تارك الجميع في حيرة من أمرهم ولكنهم تمالكوا أنفسهم، و شقوا الصحراء دون أن يحترقوا من شدة الحرارة أو يشعرون بالجوع أو العطش أو التعب، ففهموا حينها ما كان يقصده كاملوم، و واصلوا رحلتهم على ظهر الإبل التي تأثرت هي الأخرى بقوته .

حلّ الليل الذي أسدل ستائره، فلون الصحراء بسواد قاتم كأجنحة الغراب تجعلك تكاد لا تبصر ما أمامك، و

انخفضت درجة الحرارة، فلا تكاد تشعر بأطرافك من شدة البرد، و لو لا قوة كاملوم لتجمدوا حتى الموت .

قرر الجميع المكوث في مكانهم و التخييم خوفا من المخلوقات الليلية التي تأقلمت مع الطبيعة القاسية للصحراء و التي قد تظهر لهم في أي وقت أو مكان بما أنهم اعتادوا الصيد في الليل .
وبينما كانوا يرتاحون في خيامهم إذ بهم يسمعون ضج الإبل الذي ملأ أرجاء المكان، فأسرعوا إلى المحل الذي ربطوهم فيه و لكنهم لسوء الحظ وصلوا متأخرين، فلم يبق جمل واحد على قيد الحياة .

حاولوا إيجاد من قام بذلك، و فتشوا كل الأماكن المحيطة بهم و لكنهم لم يجدوا شيئا غير جثث الحيوانات و قطرات الدم التي طبعت على ذاك البساط الأصفر البهي المصنوع من كثبان الرمال الذهبية، لونا أحمر قاتما كان شاهدا على تحول تلك الغبراء إلى مقبرة .

غاص أسامة في بحر من الأفكار محاولا إيجاد الجاني، و توصل في النهاية إلى أن قاتل الإبل لم يغادر المخيم و أنه قد يكون تحت الرمال .

طعن أسامة و إمناي الكتل الرملية التي تجمعت في أرض التخييم دون سواها . في النهاية خرج من أحدها مخلوق ضخم يشبه العقرب ... إنه و دون أدنى شك 'سائر الرمال' و هو سلطعون ليلي ضخم بحجم الحصان، ذو منقار يشبه الطائر و ذيل عقرب، يدفن نفسه في الرمال في النهار، ويخرج في الليل، و نادرا ما يأكل البشر و لكنه يسرق الإبل و الخيول من القوافل و يأكلها . لوح امناي بسيفه و قتله بضربة واحدة بعدما حاول مهاجمتهم .

لم تكن ياسمين و لين قادرتين على النوم في ذاك المكان الذي انتشرت فيه رائحة الدماء و الجثث، فقرروا مواصلة رحلتهم سيرا على الأقدام ولم يستطيعوا أن يأخذوا قسطا من الراحة بسبب هجوم البربر عليهم الذين كانوا يتبعونهم من البداية و ينتظرونهم أن يتعبوا حتى

يتمكنوا من الهجوم عليهم إلا أن خطتهم فشلت بسبب قوة كاملوم .

اشتد القتال بينهم و مات الكثير من البربر على يد أسامة و إمناي، و لكن بسبب الفرق الهائل في أعدادهم، خشي أسامة من إصابة ياسمين لذلك أخرج أداة سحرية من جيبه، و أطلقها في السماء، فأشعلت الفضاء بشعلة زرقاء، و ما هي إلا لحظات حتى خرجت مجموعة من الرجال دعموا أسامة و أبادوا البرابرة .

تعرفت ياسمين على أغلبهم لأنها التقت بهم في السفينة عند البحث عن ماليس، و لكنها لم تفهم كيفية وصولهم إلى هذه الصحراء أو كيف بقوا أحياء و لم يحترقوا من شدة الحرارة، فسألت لين التي أجابتها بلسان الببغاء :
-إنها الأحجار .
-الأحجار؟
-تلك القلائد التي يرتدونها إنها تشبه أحجار البربر و التي بفضلها تمكنوا من التأقلم في هذا المكان .
-إذا فتلك الأحجار تحمي حاملها كما حمتنا قوة كاملوم .

-لا ...إنها أقل كفاءة من ذلك، فهي تصنع حاجزا تحمي جسدك من الاحتراق و لكنها لن تمنع شعورك بالحر أو التعب ...لذلك فوزنا مضمون ...لا ...كنا سنفوز حتى دون قوة ذلك الجمل .

-ماذا؟

-ياسمين ...انظري هناك ... أولئك الرجال الذين يدعمون أسامة ليسوا أشخاصا عاديين ...من الواضح إنهم مدربون جيدا ...عند التفكير في الأمر، **أسامة نفسه ليس عاديا** .

انتهت المعركة بفوز أسامة و رجاله، و صارت تلك الأرض بحرا من الدماء و مقبرة للأعداء . أخذ إمناي معه مجموعة من الرجال، و لحقوا بالناجين من البربر، و حاولوا إمساكهم و لكنهم فشلوا في ذلك بسبب اختفاء الأعداء بشكل مفاجئ، أما أسامة فقد أسرع نحو ياسمين ليطمئن عليها و لكن لين أوقفته، وسألته :

- أولئك الرجال... من هم؟وما علاقتك بهم؟

-مجرد أصدقاء .

-هل كل أصدقائك مدربون على القتال و على الظهور من اللامكان عند إشارتك؟ ...حتى في غابة أريناس ظهر

رجال كهؤلاء، و أعادوا الأطفال لمنازلهم ...أسامة ...من هؤلاء ؟
-قلت لكِ إنهم مجرد أصدقاء . لستِ بحاجة لمعرفة أي شيء آخر .
-إذا فسر لي كيفية امتلاكهم لتلك الأحجار الغالية و النادرة؟
-إنهم من صائدي الجوائز ...تلك الأحجار ضرورية بسبب طبيعة عملهم .
-لا تحاول خداعي ...تلك الأحجار لا توجد إلا في هذه الصحراء و قد احتكرها البربر، و منعوا تصديرها لأي أحد غير الأثرياء و أصحاب المناصب العالية، فمنذ متى و صائدو الجوائز يمتلكون هذا النفوذ؟
-لا شأن لكِ .
-كيف أثق بكَ إن كنتَ تخفي علينا الكثير .
-الشخص الوحيد الذي يجب أن تثقي به هو ياسمين .

همّ أسامة بالرحيل و لكن لين أوقفته قائلة :
-"ياسمين ...إنها تثق بك و تحبك فلا تكسر قلبها ."

التفت لها أسامة مع نظرة غاضبة و مخيفة أدخلت الرعب لقلبها، و قال -ياسمين ...سأفعل أي شيء لأجلها، فلا تشكي بحبي لها .
-أي شيء ؟ إلى أين ستصل بمثل هذه الحماية المفرطة؟
-لأبعد ما تظنين .

تفاجأت لين بكلماته، و تسمرت في مكانها عاجزة عن الحراك . تفطنت ياسمين إلى الهالة الغريبة التي كانت تحيط بهما ولكنها لم تسألهما لأنها فضلت التركيز على إنقاذ ليان و إيجاد قاتل جدها، و انتظرت إبتعاد رجال أسامة، ثم نادت بأعلى صوتها 'كانيس' فظهر كلب ذهبي ذو أنف زمردي و قال:
-**الأمن و الأزر تحت أمرك** ...أنف كانيس رهن إشارتك.
-من أنت؟
-أنا الوفاء .
-كانيس أيمكنك إيجاد مخبأ الأعداء .
-اعتمدي علي .

أنار أنف كانيس بضوء أخضر براق و شم السيوف و الجثث فعرف أيُّ الأسلحة تنتمي لأولئك الموتى و أيهم تنتمي للأحياء ثم إتبع الرائحة فوصلوا لمغارة .

دخل أحد الرجال لتفقدها ثم عاد و معه أحد البرابرة و أخبر أسامة بأنه سيجد موطنهم بعد تجاوز المغارة و أن هذا الرجل الذي بجانبه والذي يدعى 'ألاس'، سيساعدهم على الدخول بأمان بعد إعطائه مبلغا كبير من المال، فوافق أسامة، و وضع خطة محكمة للسيطرة على تلك الأرض .

تسلل أسامة ورجاله إلى أرض البربر، و أحاطوها، مستعدين لبدء حصار عليهم عند إشارته، أما ياسمين فقد دخلت كرهينة أمسك بها ألاس، و حاول أخذها إلى حيث يوجد العبيد إلا أن أحد الحراس أوقفه قائلا :
-من هذه؟
-وجدتها في الصحراء فأمسكت بها .
-قد تكون واحدة من أولئك الذين قتلوا اخوتنا لذلك لابد من قتلها .
-لا تفعل ...سنستعمل هذه الفتاة كطعم للإمساك بهم .

نظر إليها الحارس بنظرة منحرفة و أحمر وجهه و حاول التحرش بها إلا أن ألاس أوقفه وقال :

-أتجرأ على لمس امرأة ستكون زوجة الزعيم .

-زوجة؟ لا تمزح معي، فالزعيم رفض كل النساء، و اختار السيدة ليان ...كلنا نعرف حبه للسيدة .

-و لكنها رفضته لذلك لابد من أنه سيستغل هذه المرأة لكسب حب السيدة و إثارة غيرتها .

-لا تكذب علي .

-إذا كنت لا تصدقني، فاذهب إلى الزعيم، و أخبره بأنك حاولت التحرش بها ... و لنرى ما سيفعله بك؟

لم ينطق الحارس بكلمة واحدة، و سمح لهما بالمرور، فتنهد ألاس، و حمد الله على غباء ذلك الحارس الذي صدق كذبه بسهولة . و فور رحيلهما ظهر ضباب **أحمر** على شكل دوامة خلف الحارس، و خرج منها أسامة، و لوح بسيفه، ففقع عيونه و قال :

-"هذا ثمن نظرتك المنحرفة . "

و قطع يده قائلا :

-"هذا ثمن محاولة لمسها ."

ثم قتله، و جعل ذلك الضباب الأحمر يحيط بجثته التي اختفت مع اختفاء الضباب . اقترب منه إمناي، و طلب منه أن يتحلى بالصبر، و أن يتحكم في غضبه لأن ياسمين ستغضب منه إن أفسد الخطة فهدأ أسامة خوفا من غضب حبيبته .

وصلت ياسمين للمكان الذي يوضع فيه العبيد و الذي كان عبارة عن سجن لا يدخله نور الشمس . كان كل العبيد نحافا على عكس البربر الذين التقت بهم و الذين كانوا سمنا، و كانت أثار الجلد واضحة على أبدانهم، فهم بالكاد يرتدون ملابس تغطي أجسادهم .

أشفقت ياسمين عليهم، و فتحت حقيبتها التي ساعد ألاس في إدخالها دون علم الحراس، و أخرجت الطعام الذي أعطاه لها أسامة، و تقاسمته معهم، فارتموا عليه دون تفكير، و أكلوا الغلال ببذورها واللحوم بعظامها و الحلويات بالأوراق التي تغلفها .

علمت ياسمين أنهم لم يتناولوا الطعام منذ أيام عديدة لأن أسيادهم كانوا غاضبين من موت أصدقائهم على يد الأعداء، فلامت نفسها، و حاولت مساعدتهم قائلة :

-لماذا لا تغادرون هذا المكان ؟

-ذلك مستحيل .

-لماذا؟

-لا أمل لنا في الحياة .

و بينما هم على تلك الحال إذ بأحدهم يسقط ميتا ليس بسبب الجوع و إنما بسبب سم حرباء كبيرة، صغيرة الرأس طويلة الذيل.

سألت ياسمين عن ماهية هذا المخلوق، فأجابها أحدهم :

-إنه 'السام أبرص'، و هي حرباء عجيبة و نادرة جدا .ظننا أنها انقرضت بسبب الصيد الجائر .

-لماذا قد يصطاد البربر مثل هذا الكائن السام .

-يقال أن لحمه عجيب من يتناوله يُشفى من داء الثعلب و القرع و ينبت شعره، و كبده يسكن وجع الرأس، و شحمه يشفي لسعة العقرب أما دمه فيجعل أعضاء الإنسان تنموا بعد قطعها .

تذكرت ياسمين لين و ليان اللتين خسرتا قدرتهما على الرؤية و الكلام، و قررت الحصول على دم السام أبرص مهما كلفها الأمر، و سألت عن كيفية قتله، فأجابها أحد العبيد :

"-تأقلم السام الأبرص مع طبيعة المناخ القاسية لهذه الصحراء لذلك فهو يحتمل الحر و البرد و لكنه ضعيف أمام البرق ...اعتاد أجدادنا على الإمساك به و أخذه إلى أرض تكثر فيها العواصف، و يربطونه في أعلى الجبل على عمود حديدي، و ينتظرون أن يصعقه البرق ...و لكن هذا مستحيل بالنسبة لنا فهذا المكان لا تدخله أشعة الشمس فما بالك بالبرق في هذه الأرض التي لا يهطل فيها المطر ...نحن حقا هالكون، و لن يحزن أحد على موتنا . "

ابتسمت ياسمين و استعملت السحر فأصابته بصاعقة برقية، فمات .تفاجأ الجميع من حقيقة كونها ساحرة و لكن ياسمين لم تبد اهتماما بذلك، و قالت لهم بكل شجاعة:

-فلنغادر هذا المكان .

-هذا مستحيل حتى بالنسبة لكِ أيتها الساحرة .

-لماذا؟
-يوجد ختم على أجسادنا سيتفاعل عند عصياننا و ستنفجر قلوبنا ...دون ذكر القيود و الأغلال التي تمنعنا من الحركة و كل تلك الأسلحة التي يمتلكها أسيادنا .
-...ثقوا بي ...أستطيع تحطيم هذه الأغلال وتدمير ذاك الختم، و سيتولى أصدقائي الباقي .
-أصدقاؤك؟
أخبرتهم ياسمين كل شيء من البداية إلى النهاية، فوافقوا على مساعدتها، و استعدوا لبدء الثورة .

و في جوف الليل، نادت ياسمين 'مِيَا' فظهر طائر الكينزال الذي بدا كربيع في هيئة طائر من شدة جماله وبهائه ، و قالت مِيا بحماس :
-**الأمن و الأزر تحت أمرك** ...أجنحة كنزال رهن إشارتك .
-من أنتِ يا مِيا؟
-احزري يا سيدتي .
-هل أنت هي الرغبة في الحرية .
-لقد أصبت .
-أيمكنك مساعدتنا .

-طبعا .

أنارت أجنحة مِيا و ما هي إلا لحظات حتى تحطمت كل الأغلال و القيود، و صارت غبارا، و انكسرت قضبان السجن، و تحولت إلى أشلاء، و اختفت العلامة الموجودة على أجسادهم و التي تدل على الختم، فسعد كل العبيد، و علا هتافهم، وأسرعوا لينتقموا من أولئك الذين حرموهم من حريتهم، فهجموا على البربر الأغنياء من الجهة الشرقية .

من ناحية أخرى، دمر أسامة كل مخازن الأسلحة و قتل كل حراسها دون مساعدة أي أحد، و حاصر جنوده بقيادة إمناي الأرض من الجهة الجنوبية والغربية،أما ياسمين فقد إستعملت قوة مفتاح الشرق لتجعل النباتات الشوكية تنمو من الجهة الشرقية، فصنعت أسوارا شوكية، لا يهم كم مرة تقطعها لأنها تنمو من جديد.

علت هتافات الحرية، و دقت طبول الحرب، و اشتعلت النيران، فأحرقت تلك الأرض التي جعلتهم يعانون .
استغلت ياسمين هذه الفوضى، و تسللت نحو قصر

الزعيم، فوجدته يزعج فتاة بشعر أسود و عيون بيضاء، بطلبات الزواج، و قد كانت ترفضه في كل مرة، فعلمت أنها ليان .
غضب منها الزعيم و صرخ قائل بأنه الشخص الوحيد الذي سيقبل بعمياء مثلها و إنها مجرد نكرة، فاحمر وجه ياسمين من شدّة غضبها، و خرجت من مخبئها قائلة :
"-بل يوجد أشخاص يحبونها على الرغم من إعاقتها ...أنا، لين و آكلي، جميعنا ننتظر عودتها ...قلتَ أنها نكرة و عائق لنا ...إذا فليكن في علمك أنه بفضلها نجت لين و العديد من الأطفال من الخومبابا ...لأجلها أتينا لهذه الصحراء و بفضل ذلك تحرر العبيد ...إن كان الشخص القادر على فعل كل هذا نكرة، إذا أنا أيضا أريد أن أكون نكرة ."

غضب زعيم البرابرة من كلامها، و غلى الدم في عروقه، و كادت تنفجر شراييـنه من شدة الغضب، و احترقت روحه، و تآكل قلبه غيرة و حسرة، فليان التي لم تبتسم له يوم رغم كل ما فعله لأجلها ها هي الآن تبتسم لياسمين بإشراق .

كره الزعيم ذلك فالعشق و حب التملك غلفا قلبه، فصار لا يكاد يبصر الحقيقة أو يرى نفور ليان منه، وحمل فأسه و بغى رأس ياسمين إلا أن أسامة أوقفه و أصابه بإصابة خطيرة .استعملت ليان قوة مفتاح الغرب لأول مرة و هو مفتاح ما فوق الطبيعة و التي تتمحور قوته على السيطرة على الوحوش ، و استدعت أفعى سوداء عملاقة، ابتلعت الزعيم و كل جنوده، فتخلصت منهم ومن شرورهم و طغيانهم .

نزلت دموع كالشلال من عيون ليان، فها هي الآن حرة من تلك القيود التي كانت تقيدها، نظرت إلى السماء تتأملها، و رفعت يدها تحمد الله ثم سجدت سجدة شكر لرب العالمين .و فجأة أحست بيد دافئة تعانقها، و دموع حارة تنزل على رأسها .

لم تستطع ليان رؤية من عانقها و لكنها أدركت أنها و دون أي شك اختها لين، فعانقتها هي الأخرى، و أجهشت الفتاتان بالبكاء في منظر تقشعر له الأبدان .

أخرجت ياسمين زجاجة صغيرة بها دماء السم أبرص، و وضعت قطرة منه على أعين ليان و أخرى على لسان لين، فاستعادت التوأمين قدرتهما على الرؤية و على الكلام، و شكرتا ياسمين على كل ما فعلته لأجلهما . و لكن لسوء الحظ لم تكتمل فرحتهم، فقد ظهرت **زوبعة من الدماء**، خرج منها سهم أحمر كاد يصيب ليان . تلاشت تلك الزوبعة ببطئ، و ظهر رجل عجوز مشوه الوجه أشبه بجثة متحركة من شدة قباحته .

لم تتعرف عليه ياسمين في البداية بسبب تشوه وجهه و لكنها استمرت في تأمله لأنه بدا مألوفا، ثم تذكرت صورة جدها مع غيلاس، التي أعطاها لها أسامة، و فهمت أن هذا الشخص الذي يقف أمامها هو نفسه غيلاس و أنه قاتل جدها، فغضبت غضبا شديدا و استعملت سحر النار محاولة قتله إلا أن الدماء التي كان يتلاعب بها أوقفت النار، و ابتلعتها كأنها لم تكن .

لم يهتم غيلاس بوجود ياسمين فكل همه هو قتل ليان، و حاول الوصول إليها إلا أن أسامة و إمناي كانا يمنعانه

في كل مرة ولكنهما لم يستطيعا فعل أي شيء آخر غير كسب الوقت حتى يصل الدعم .

و ما هي إلا لحظات حتى تجمع رجال أسامة و العبيد حول غيلاس محاولين هزيمته إلا أنهم لم يستطيعوا قتله لأنه فرّ في اللحظة التي شعر فيها بالخطر .

حضن أسامة ياسمين التي كانت ترتعش من شدة الغضب لأن جدها تعرض للخيانة من أقرب أصدقائه، و خسر حياته بسبب ذلك، و أجهشت بالبكاء بين أحضان أسامة غير قادرة على تصديق مثل هذه الحقيقة المرة . حاولت لين و ليان تهدأتها و لكن جراح القلب لا تُشفى بسهولة ...

في قصر ضخم بديع، يوصف بكونه أقوى الحصون، ذا جدران مزينة بأغلى اللوحات وأعمدة مزركشة بالياقوت و الذهب، به حديقة بحجم قرية كاملة، لا يوجد بها إلا أشجار الياسمين التي فاحت رائحتها في كل أرجاء القصر . كان أسامة يجلس في تلك الحديقة و بيده كتاب كان يقرأه، و أمامه ما شهى وطاب من طعام و شراب،

و لكنه لم يستطع التركيز على القراءة لأنه كان مشغولا بتأمل أزهار الياسمين التي ذكرته بحبيبته .

دخل إمناي في زي الفرسان، و انحنى احتراما لأسامة و لمكانته . فأجابه أسامة :
-فلتقف يا إمناي .
-سمعا و طاعة ...**أيها الإمبراطور** .
-ماذا تريد؟
-ذلك الرجل الذي ساعدنا في الصحراء ... ما الذي سنفعله به .
- ألاس إسم يعني حكاية ...لذلك فلنجعل منه عبرة و قصة ترويها الأجيال ...قصة عن خائن دفع ثمن خيانته بحياته، ومات ميتة قاسية .
- هل تريدني أن أقتله .
-أنا شخص يفي بوعوده ...أعطه الأموال التي وعدناه بها، ثم أقتله ...لا فائدة من بقائه حيا فكيف أجد الخير في شخص خان شعبه؟ ...أنتَ تعرف مدى كرهي للخونة يا إمناي لذلك لا تسألني عن ما هو واضح ...اذهب الآن .

همّ إمناي بالرحيل و لكنه توقف، فسأله أسامة :

-ما الأمر؟
-سيدي ...متى ستخبر ياسمين بالحقيقة.
-حقيقة ماذا؟
-**حقيقة أنك قاتل جدها** .
-إنها مسألة وقت قبل أن تكتشف أن **القاتل والخائن من الأماريس ليسا نفس الشخص** .
-قد تكرهكَ .
-لن أسمح لها بالرحيل حتى لو كرهتني .
-هل ستسمح لها بالبقاء بجانبك رغم كل ما فعله جدها !
-لا تذكرني بما فعله ذلك العجوز ...أنا متعب لذلك غادر يا قائد الحرس الملكي.

غادر إمناي خوفا من أسامة الذي استشاط غضبا بعدما تسللت تلك الذكريات الحزينة لرأسه و التي ذكرته بآلام الماضي .
نظر الإمبراطور لأشجار الياسمين، و ابتسم ابتسامة ممزوجة بالخبث و الحزن، و قال :
-**"آسف يا ياسمين ...فأنا الذي وُلد بجسد حي و قلب ميت ... أنا من نطق بالكذب بلسان صادق ...أنا من عاش حياة الملوك بروح فقيرة ...و أنتِ نجمي التي**

أرشدتني ...أنتِ من أذاب جليد قلبي ...أنتِ روحي و قلبي ...و لكنك لن تتفهميني و لن تفهميني ...فأنا في الخير والشر أتقن الدور . "

يكمل